



مُؤَلَّفَاتٌ وَمَبَاحِثٌ عُلُومِ الْقُرْآنِ لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ



مَدْرَسَةُ الْحَدِيثِ فِي الْغَيْدَاهِ
لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ
The School of Hadith in Ghaydah for Legislative

تَجَلُّيقٌ وَبَيَانٌ عَلَى آيَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْقُرْآنِ

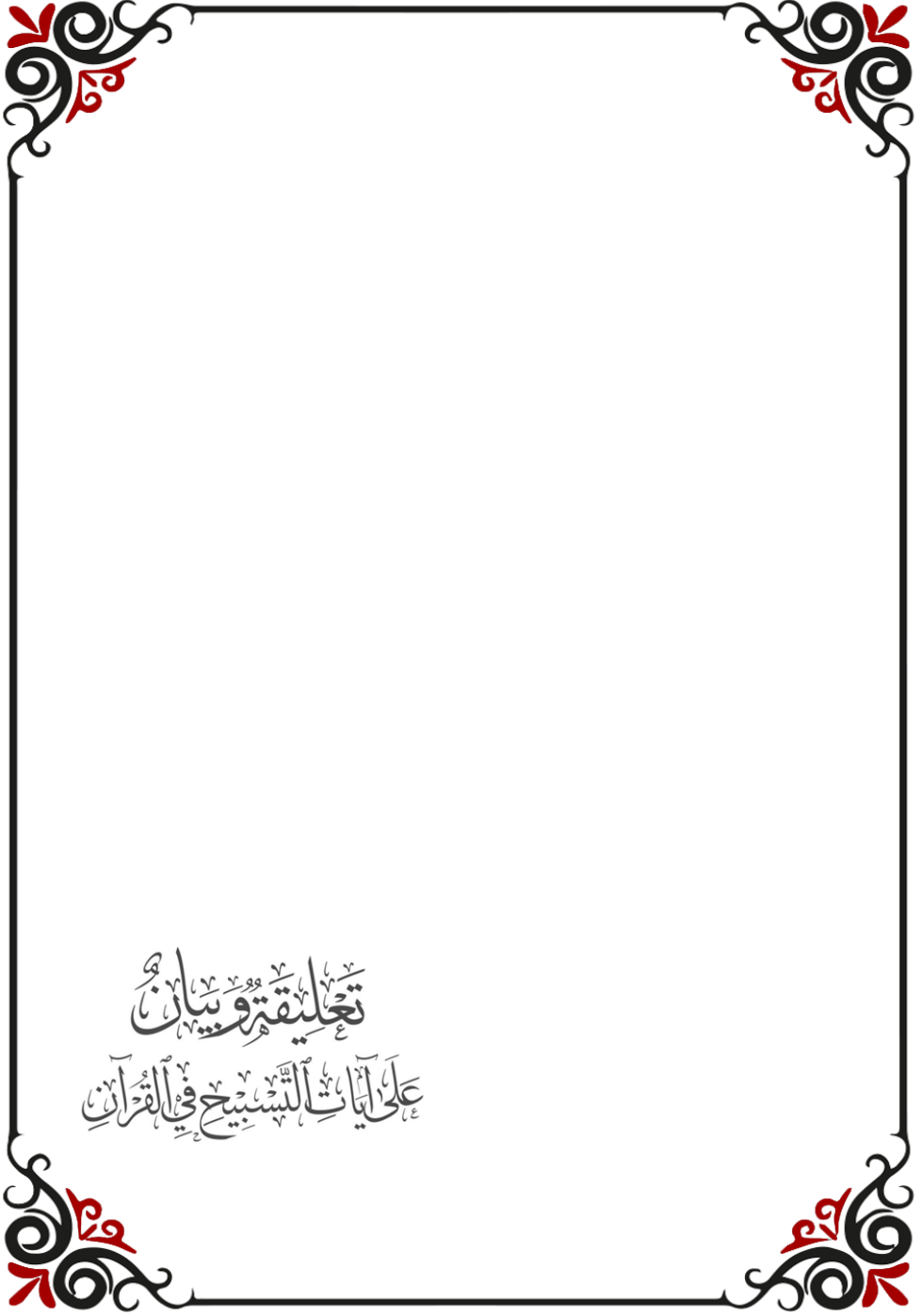


لِفَضِيلَةَ الشَّيْخِ

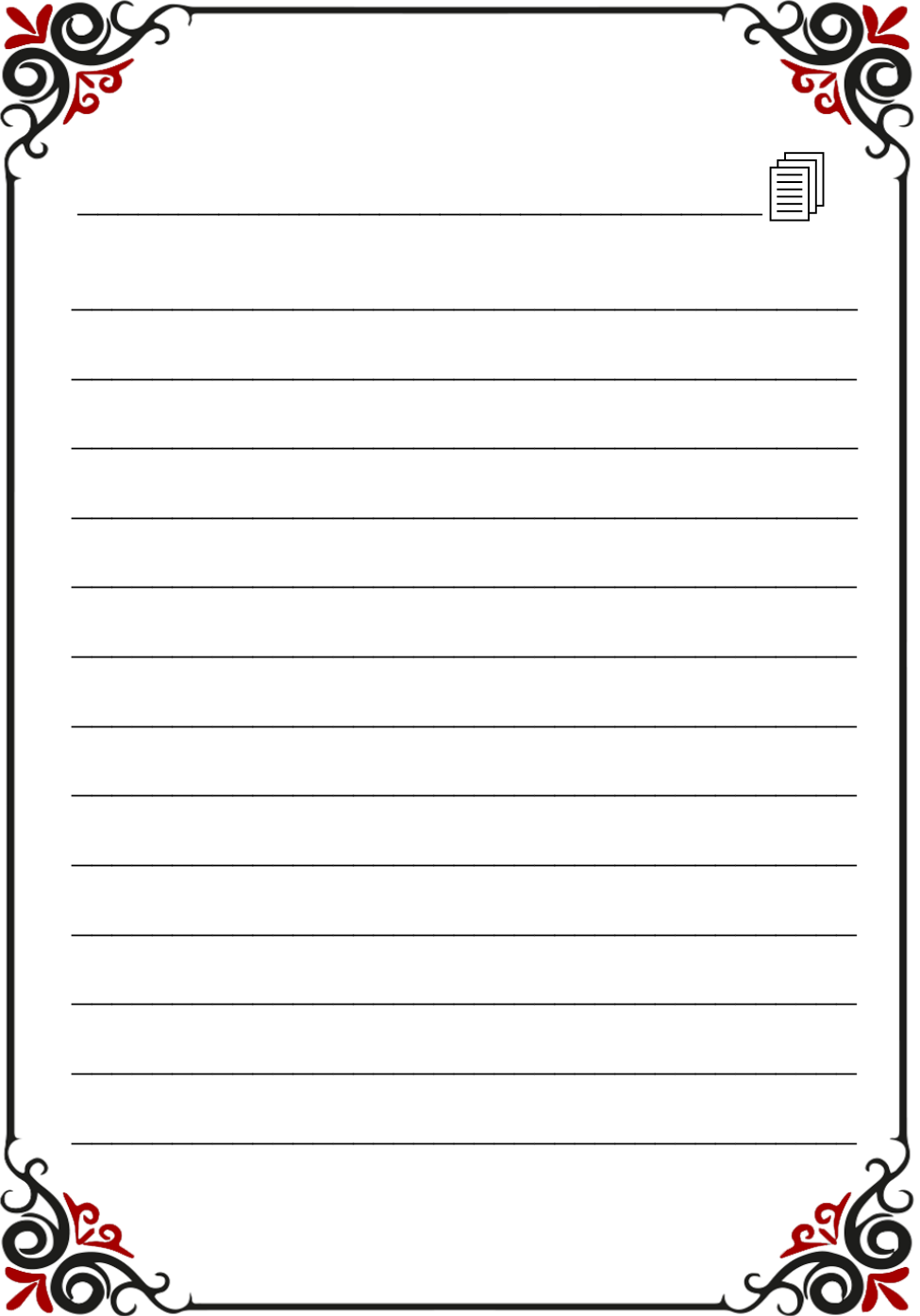
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ زَيْدِ الزُّعْمَرِيِّ

حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى





تَجَلَّيْتُمْ بِيَانًا
عَلَى آيَاتِ التَّسْبِيحِ فِي الْقُرْآنِ



تَحْلِيْقَةُ رِيَاذَاتِ
عَلَى آيَاتِ التَّسْبِيْحِ فِي الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ الْفَاضِلِ
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُجْرِيِّ الرَّسْمِيِّ



تَحْلِيْقَةُ بَيَانَاتِ عَلَى آيَاتِ الشَّيْخِ فِي الْقُرْآنِ

الطبعة الأولى

١٤٤٧ هـ

روابط قنوات فضيلة الشيخ على منصات التواصل:

الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ حفظه الله تعالى:

<https://alzokory.com>

✕ A_Alzokorys

▶ <https://www.youtube.com/channel>

🗨 <https://chat.watsapp.com/FglUKZ0nwzr5EYaguQttsz>

📌 https://t.me/A_lzokory

📘 <https://www.facebook.com/649918028352367>





المقدمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، **سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى** عما يشركون، والصلاة والسلام على رسول الله **ﷺ**، عدد ما سبح المسبحون، وأشهد أن لا إله إلا الله **﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾**، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، **ﷺ**، أفضل وأشرف وأكرم من سبح لله **عَزَّجَلَّ** بلسان حاله ومقاله في دنياه، ويوم يقوم إلى الحساب.

أَمَّا بَعْدُ:

لما كان من أفضل الذكر وأشهره وأذكره **(سبحان الله)** و**(سبحان الله وبحمده)** و**(سبحان الله العظيم)**، ونحو ذلك مما يدل على معناها. أحببت أن أكتب كتابة مختصرة وهي "تعليقة وبيان على آيات التسبيح في القرآن"، ويكون في دروس رمضان بإذن الملك العلام.

كتبه

عبد الحميد بن يحيى الزُّعكري

١٤٤٧ / ٦ / ٢٥ هـ



معنى التسبيح

معناه في اللغة:

ما قاله ابن فارس في مقاييس اللغة: (سَبَحَ) السَّيْنُ وَالْبَاءُ وَالْحَاءُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا جِنْسٌ مِنَ الْعِبَادَةِ، وَالْآخَرُ جِنْسٌ مِنَ السَّعْيِ... ومن الباب التسبيح، وهو التنزيه لله -جل ثناؤه- من كل سوء. والتنزيه: التمجيد. والعرب تقول: سبحان من كذا، أي: ما أبعد، قَالَ الْأَعْشَى:

أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ سُبْحَانَ مَنْ عَلَقَمَةَ الْفَاخِرِ

وأما في الاصطلاح:

فهو تنزيه الله **عَزَّجَلَّ** عن كل نقص وعيب.

فعلى هذا فقول "سبحان الله" يتضمن نفي جميع النقائص عن الله، ويستلزم

إثبات جميع المحامد لله **عَزَّجَلَّ**.

ولذلك يُجمع بينهما كثيراً في القرآن والسنة والذكر، فتقع الدلالة على وصف

الله **عَزَّجَلَّ** بالكمال المقدس مرتين، وتقع الدلالة على نفي النقص عن الله **عَزَّجَلَّ**

مرتين؛ وذلك على معنى القاعدة السلفية من أن الله **عَزَّجَلَّ** (موصوف بالنفي

والإثبات)، إثبات الصفات مع تنزيه الله عن مماثلة المخلوقات، والله أعلم.



اسم الله عزَّ وجلَّ السَّبوح

أخرج مسلم في صحيحه (٤٨٧): عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أن رسول الله ﷺ كان يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح الحديث: قَوْلُهُ «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ» هُمَا بِضَمِّ السِّينِ وَالْقَافِ وَبِفَتْحِهِمَا وَالضَّمُّ أَفْصَحُ وَأَكْثَرُ.

قَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي "فَصْلِ ذَرَحٍ": كَانَ سَبِيبِيهِ يَقُولُهُمَا بِالْفَتْحِ.

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ فِي فَصْلِ سَبِيحٍ: سُبُّوحٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ ثَعْلَبٌ: كُلُّ اسْمٍ عَلَى فِعُولٍ فَهُوَ مَفْتُوحٌ الْأَوَّلِ إِلَّا السُّبُّوحَ وَالْقُدُّوسَ، فَإِنَّ الضَّمَّ فِيهِمَا أَكْثَرُ وَكَذَلِكَ الذَّرُّوحُ وَهِيَ دُوبِيَّةٌ حَمْرَاءُ مَنَّقَطَةٌ بِسَوَادٍ تَطِيرُ وَهِيَ مِنْ ذَوَاتِ السَّمُومِ.

وقال بن فارس والزيدي وغيرهما: "سبوح" هو الله عزَّ وجلَّ، فالمراد بالسُّبوحِ القُدُّوسُ المُسَبِّحُ المُقَدَّسُ فَكَانَهُ قَالَ مُسَبِّحٌ مُقَدَّسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ، ومعنى "سبوح" المبرأ من النقائص والشريك وكلُّ ما لا يليقُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَقُدُّوسٌ الْمُطَهَّرُ مِنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِالْخَالِقِ. اهـ



مواطن التسبيح

ولعظيم شأن هذه العبادة وعظيم معنى هذه الكلمة شرعت في مواطن كثيرة، أسوقها سردًا، وإن يسر الله **عَزَّوَجَلَّ** ذكرت أدلتها:

(١) عند استفتاح الصلاة.

فعن عمر بن الخطاب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أن النَّبِيَّ **ﷺ** كان يفتتح الصلاة: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ». [أخرجه الترمذي (٢٤٣)].

(٢) في الركوع.

* عَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ **ﷺ**، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ». [أخرجه الترمذي (٢٦٢)، وجاء عند أحمد (٢٣٢٤٠)].

* وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **ﷺ** كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ». [أخرجه مسلم (٤٨٧)].

(٣) في السجود.

* عَنْ حُدَيْفَةَ، أَنَّهُ صَلَّى مَعَ النَّبِيِّ **ﷺ**، فَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ، وَفِي سُجُودِهِ، سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى». [أخرجه الترمذي (٢٦٢)، وجاء عند أحمد (٢٣٢٤٠)].

* وَعَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، أَنَّ عَائِشَةَ نَبَّأَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ سُبُوحٌ قُدُوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»، [أخرجه مسلم (٤٨٧)].

٤) في أذكار الصلاة.

* عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الْفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الْأَمْوَالِ بِالْدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحْجُونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلَا أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِ إِلَّا مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ». [البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥)].

٥) في أذكار الصباح.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمَسِي: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إِلَّا أَحَدًا قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ». [أخرجه مسلم (٢٦٩٢)].

٦) في أذكار المساء.

للحديث المتقدم.

(٧) فِي حَالِ تَنْبِيهِ الْإِمَامِ فِي الصَّلَاةِ.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ لِيُصَلِّحَ بَيْنَهُمْ، فَحَانَتْ الصَّلَاةُ، فَجَاءَ الْمُؤَدِّنُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، فَقَالَ: أَتُصَلِّي لِلنَّاسِ فَأَقِيمَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَصَلَّى أَبُو بَكْرٍ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالنَّاسُ فِي الصَّلَاةِ، فَتَخَلَّصَ حَتَّى وَقَفَ فِي الصَّفِّ، فَصَفَّقَ النَّاسُ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ لَا يَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِهِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ التَّصْفِيقَ التَّفَّتَ، فَرَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنْ اْمُكُثْ مَكَانَكَ»، فَرَفَعَ أَبُو بَكْرٍ رُضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدَيْهِ، فَحَمِدَ اللَّهُ عَلَى مَا أَمَرَهُ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْخَرَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى اسْتَوَى فِي الصَّفِّ، وَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَصَلَّى، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَثْبُتَ إِذْ أَمَرْتُكَ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ، مَنْ رَأَبَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ، فَلْيُسَبِّحْ فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التَّفَّتَ إِلَيْهِ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ». [البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٤٢١)].

(٨) فِي كِفَارَةِ الْمَجْلِسِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ فَكَثُرَ فِيهِ لَعْنُهُ، فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ» [أخرجه الترمذي (٣٤٣٣)].

(٩) في أذكار النوم.

عن عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ اشْتَكَّتْ مَا تَلَقَى مِنَ الرَّحَى مِمَّا تَطْحَنُ، فَبَلَّغَهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى بِسَبِيٍّ، فَأَتَتْهُ تَسْأَلُهُ خَادِمًا، فَلَمْ تُوَافِقْهُ، فَذَكَرَتْ لِعَائِشَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ عَائِشَةُ لَهُ، فَاتَانَا، وَقَدْ دَخَلْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْنَا لِنَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا». حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمِيهِ عَلَيَّ صَدْرِي، فَقَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمَا عَلَيَّ خَيْرٍ مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا فَكَبِّرَا اللهُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبَّحَا ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمَا مِمَّا سَأَلْتُمَاهُ». [أخرجه البخاري (٣١١٣)، ومسلم (٨٠)].

(١٠) عند سماع الرعد.

عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَمِعَ الرَّعْدَ تَرَكَ الْحَدِيثَ، وَقَالَ: سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنَّ هَذَا لَوْعِيدٌ لِأَهْلِ الْأَرْضِ شَدِيدٌ. أخرجه مالك (١٠).

(١١) عند التعجب.

فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكِ، فَتَطَهَّرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطَهَّرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟ قَالَ: «سُبْحَانَ اللهِ، تَطَهَّرِي» فَاجْتَبَدْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ. [أخرجه البخاري (٣١٥)، ومسلم (٣٣٢)].

١٢) عند التنزيه، ورد الدعوى الباطلة: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾؛ كما في آيات الإفك.

وكما في حديث عُرْوَةَ قَالَ: لَمَّا أُخْبِرَتْ عَائِشَةُ بِالْأَمْرِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْطَلِقَ إِلَى أَهْلِي؟ فَأَذِنَ لَهَا، وَأَرْسَلَ مَعَهَا الْغُلَامَ، وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ. [أخرجه البخاري (٧٣٧٠)].

١٣) عند النزول.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبْرَنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا». [أخرجه البخاري (٢٩٩٣)].

١٤) عند استعظام الأمر.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: اسْتَيْقِظَ النَّبِيُّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، مَاذَا أَنْزَلَ اللَّيْلَةَ مِنَ الْفِتَنِ، وَمَاذَا فُتِحَ مِنَ الْخَزَائِنِ، أَيَقْطُؤُوا صَوَاحِبَاتِ الْحُجْرِ، فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ». [أخرجه البخاري (١١٥)].

١٥) بعد الانصراف من صلاة الوتر.

عَنْ أَبِي بِنِ كَعْبٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُوتِرُ بِثَلَاثِ رَكَعَاتٍ، كَانَ يَقْرَأُ فِي الْأُولَى بِسَبْحِ اسْمِ رَبِّكَ الْأَعْلَى، وَفِي الثَّانِيَةِ بِقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، وَفِي الثَّلَاثَةِ بِقُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَيَقْنُتُ قَبْلَ الرُّكُوعِ، فَإِذَا فَرَغَ، قَالَ عِنْدَ فَرَغِهِ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يُطِيلُ فِي آخِرِ هُنَّ. [أخرجه النسائي (١٦٩٩)].

(١٦) يقوله من تعار من النوم.

عن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه، أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَعَارَ مِنَ اللَّيْلِ، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ».

(١٧) عند الركوب على الدابة.

أن علياً - رضي الله عنه - ، أُتِيَ بِدَابَّةٍ لَيْرَكَبَهَا، فلما وضع رجله في الرِّكَابِ ؛ قال: بِسْمِ اللَّهِ، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله، ثم قال: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ)، ثم قال: الحمد لله ثلاثاً، والله أكبر ثلاثاً، سبحانك أي ظلمت نفسي، فاغفر لي ذنوبي، فإنه لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثم ضحك؛ فقيل من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟! قال رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صنع كما صنعتُ، ثم ضحك، فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟! قال إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب! اغفر لي ذنوبي، يقول الله: عبدي يعلم أن الذنوب لا يغفرها أحدٌ غيري .

[أخرجه أبو داود (٢٦٠٢)، والترمذي (٣٤٤٦)، وأحمد (٧٥٣) باختلاف يسير]

(١٨) في دعاء السفر.

عن ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه؛ أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ، كَبَّرَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا، وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى،

وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بَعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَائِ السَّفَرِ، وَكَأَبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ»، وَإِذَا رَجَعَ قَالَهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ: «أَيُّونَ تَأْتِيُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». [أخرجه مسلم (١٣٤٢)]

١٩) في موطن القراءة في الصلاة لمن لا يحسن الفاتحة.

فَعَنْ ابْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَخَذَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ فَعَلَّمَنِي شَيْئًا يُجْزئُنِي مِنَ الْقُرْآنِ. فَقَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ». [أخرجه النسائي (٩٢٤)].

٢٠) التسبيح عند قراءة القرآن والمرور بآية فيها تسبيح.

فَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ، فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مَرَّةً سَلَا، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيْحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ... [أخرجه مسلم (٧٧٢)].

٢١) التسبيح عند الإهلال بحج أو عمرة. «سبحان الله والحمد لله».

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ مَعَهُ بِالْمَدِينَةِ الظُّهْرَ أَرْبَعًا، وَالْعَصْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ رَكِبَ حَتَّى اسْتَوَتْ بِهِ عَلَى الْبَيْدَاءِ، حَمِدَ اللَّهَ وَسَبَّحَ وَكَبَّرَ، ثُمَّ أَهَلَ بِحَجِّ وَعُمْرَةٍ، وَأَهَلَ النَّاسَ بِهِمَا، فَلَمَّا قَدِمْنَا أَمَرَ النَّاسَ، فَحَلُّوا حَتَّى كَانَ يَوْمَ التَّرْوِيَةِ أَهَلُّوا بِالْحَجِّ، قَالَ: وَنَحَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَدَنَاتٍ بِيَدِهِ قِيَامًا، وَذَبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

عليه وسلم بِالْمَدِينَةِ كَبَشَيْنِ أُمَّلَحَيْنِ". [البخاري (١٥٥١) وبوب عليه: وبوب عليه في كتاب الحج (باب التحميد، والتكبير قبل الإهلال)]

٢٢) التسييح في الدعاء وقبله.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمَنِي كَلِمَاتٍ أَدْعُو بِهِنَّ فِي صَلَاتِي؟ قَالَ: «سَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، وَكَبِّرِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِيهِ حَاجَتَكَ يَقُلُّ: نَعَمْ، نَعَمْ» [أخرجه النسائي (١٢٩٩)].

٢٣) التسييح عند الكرب بدعائه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾.

عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ» [أخرجه الترمذي (٣٥٥)].

٢٤) التسييح المطلق في كل وقت ما دام العبد ذاكراً لله عَزَّوَجَلَّ، سواء بالتسييح أو التحميد أو التهليل أو التكبير، وغير ذلك على ما يأتي في فضل التسييح، والله أعلم.

❖ تنبيه:

التسييح بمعناه الشرعي لا يجوز إلا لله عَزَّوَجَلَّ. وكلمة "سبحان الله عَزَّوَجَلَّ" تدل على المبالغة في تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ من عدة وجوه ذكرها أبو السعود، إذ قال: وفيه ما لا يخفى من الدلالات على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض، ومن جهة النقل إلى التفعيل، ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن، ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل". اهـ من تفسير أبي السعود.



أنواع التسييح في القرآن

ينقسم التسييح في القرآن إلى نوعين:

الأول: تسييح الله لنفسه المقدسة، إما دفع تهمة من المبطلين، أو لبيان عموم كماله المقدس، أو تعجب مما قالوه أو فعلوه، إلى غير ذلك من الأوجه.

الثاني: تسييح المخلوقين لربهم **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

وهذا على ثلاثة أقسام:

الأول: تسييح الملائكة لربها **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وهم مسخرة لذلك لا يفترون ولا ينصبون ولا يتعبون.

الثاني: تسييح المكلفين من الجن والإنس، وهذا هو المطلوب شرعاً إذ يتعبدون لربهم به.

الثالث: تسييح جميع المخلوقات، كما **وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾** ونحوها.

وهذا قد اختلف العلماء فيه: هل هو بلسان الحال أم المقال؟

وبكل قد قال جمع من العلماء على ما يأتي بيانه إن شاء الله **عَزَّوَجَلَّ**، والله الموفق.

وقد ذكر الفيروز آبادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز" مبحثاً مفيداً في الباب الذي نحن فيه، فقال: بصيرة في التسييح، وهو تنزيه الله تعالى، وأصله المر السريع في عبادة الله، وجعل ذلك في فعل الخير؛ كما جعل الإبعاد في الشر،

فقيل: أبعده الله، وجعل التَّسْبِيْحَ عامًّا في العبادات، قولاً كان، أو فعلاً، أو نيّة، وقوله -تعالى-: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ قيل: من المصلِّين. والأولى أن يُحمل على ثلاثها. اهـ.

وقال الفيروزآبادي في "بصائر ذوي التمييز": والتَّسْبِيْحُ ورد في القرآن على نحو من ثلاثين وجهاً، ستّة منها للملائكة، وتسعة لنبينا محمّد ﷺ وأربعة لغيره من الأنبياء، وثلاثة للحيوانات والجمادات، وثلاثة للمؤمنين خاصّة، وستّة لجميع الموجودات:

أما التي للملائكة فدعوى جبريل في صفّ العبادة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ .

الثاني: دعوى الملائكة في حال الخصومة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ

لَكَ﴾ .

الثالث: تسبيحهم الدائم من غير سامة: ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا

يَسْأَمُونَ﴾ .

الرابع: تسبيحهم المعرّي عن الكسل، والفترة: ﴿يُسَبِّحُونَ أَلَيْلَ وَالنَّهَارَ لَا

يَفْتُرُونَ﴾ .

الخامس: تسبيحهم المقترن بالسجدة: ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ .

السادس: تسبيحهم مقترناً بتسبيح الرّعد على سبيل السياسة والهيبة ﴿وَيُسَبِّحُ

الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ .

وأما التسعة التي لنبينا محمد ﷺ:

فالأول: تسييح مقترن بسجدة اليقين، والعبادة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ (٩٨) وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ .

الثاني: تسييح في طرفي النهار، مقترن بالاستغفار من الزلّة: ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾ .

الثالث تسييح في بطون الدياجر، والخلوة: ﴿ وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴾ .

الرابع: تسييح في الابتداء، والانتهاء، حال العبادة: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾ (٤٨) وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ النَّجْمِ ﴿٤٩﴾ .

الخامس: تسييح مقترن بالطلوع، والغروب لأجل الشهادة ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ﴾ ﴿ وَمَنْ أَلَّيْلٍ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴾ .

السادس: تسييح دائم لأجل الرضا والكرامة ﴿ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ .

السابع: تسييح مقترن بذكر العظمة: ﴿ فَسَبِّحْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ (٧٤) .

الثامن: تسييح بشكر النعمة: ﴿ سَبِّحْ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ .

التاسع: تسييح لطلب المغفرة: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ ﴾ قال ﷺ: "ما أوحى إليّ أن اجمع المال وكن من التاجرين، ولكن أوحى إليّ أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين".

وَأَمَّا الْأَرْبَعَةُ الَّتِي لِلْأَنْبِيَاءِ:

فالأول: لذكرنا علامةً على ولادة يحيى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ إلى قوله:

﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ .

الثاني: في وصيته لقومه على محافظة وظيفة التسييح: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ

سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ .

الثالث: في موافقة الجبال، والظباء، والحيتان، والطيور لداود في التسييح:

﴿يَسْبِخْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ .

الرابع: في نجاة يونس من ظلمات البحر وبطن الحوت ببركة التسييح ﴿فَلَوْلَا

أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ .

وَأَمَّا الثَّلَاثَةُ الَّتِي لخواصِّ الْمُؤْمِنِينَ:

فالأول: في أمر الله تعالى لهم بالجمع بين الذكر والتسييح دائماً: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ

ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ .

الثاني: في ثناء الحق تعالى على قوم إذا ذكر الله عندهم سجدوا له وسبحوا:

﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ .

الثالث: في أناس يختلون في المساجد. ويواظبون على التسييح والذكر، ﴿فِي

يُوتِ أذنَ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾

رِجَالٌ﴾ .

وأما الثلاثة التي في الحيوانات، والجمادات:

فالأول: في أن كل نوع من الموجودات مشتغل (بنوع من التسييحات): ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَيْسِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ .

الثاني: في أن الطيور في الهواء مصطفة لأداء ورد التسييح: ﴿وَالطَّيْرُ صَفَّتْ كُلُّ قَدِّعَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ .

الثالث: أن حاملة العرش والكرسي في حال الطواف بالعرش والكرسي مستغرقون في التسييح والاستغفار: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ .

وأما الستة التي للعامة:

فالأول: على العموم في تسييح الحق على الإحياء والإماتة: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ .

الثاني: في أن كل شيء في تسييح الحق على إخراج أهل الكفر، وإزعاجهم ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ .

الثالث: أن الكل في التسييح، ومن خالف قوله فعله مستحق للذم والشكاية: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ .

الرابع: في أن الكل في التسييح للقدس والطهارة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ .

الخامس: في أَنَّ الكَلَّ في التَّسْبِيْحِ على تحسِين الخِلْقَةِ والصُّورَةِ: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾
إلى قوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوْرَكُمْ﴾.

السادس: في الملامة والتعير من أصحاب ذلك النسيان بعضهم لبعض من
جهة التقصير في تسبيح الحقّ - تعالى - : ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

الحادي والثلاثون: خاصّ بالنبي ﷺ في الأمر بالجمع بين التوكّل والتسبيح:
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾. اهـ



اقتران التسبيح بالحمد

قد تقدم أن التسبيح تنزيه بالتضمن ومدح، وهكذا الحمد مدح بالتضمن وتنزيه.

ومن هذا الباب فقد قرن الله **عَزَّجَلَّ** بينهما في مواطن، منها: قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾، فينزه الله **عَزَّجَلَّ** عن كل نقص، ويثبت له كل كمال، فيكون له مدح وحمد تسبيحه، كما أن له تنزيه من تسيحة وتنزيه من حمده، وهذا دليل على عظيم شأن الكبير المتعال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وشأن هاتين العبادتين. زد على ذلك: دليل على أهمية الجمع في مدح الله **عَزَّجَلَّ** والثناء عليه بين الإثبات والنفي، وذلك أن الإثبات لا يمنع المشاركة، والنفي المحض عدم، والجمع بينها توحيده: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، والله الموفق.



فضل التسبيح

إن مما يدل على أهمية ومنزلة التسبيح: هو كثرة ذكره في كتاب الله تعالى وتنوع صورته، فقد افتتح الله تعالى به عددًا من السور؛ بل هناك من السور ما تسمى ذوات التسبيح؛ فقد ورد ذكر التسبيح في القرآن أكثر من ثمانين مرة، وافتتح به سبع سورٍ من القرآن الكريم: (سورة الإسراء، والحديد، والحشر، والصف، والجمعة، والتغابن، والأعلى)، وبصيغ متعددة تدل على وقوعه في الماضي، والحاضر، والمستقبل؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة الحديد: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الجمعة: ١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: ١].

ومما يدل على منزلة التسبيح: إن الكون كله يسبح لله تعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عِلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ [سورة النور: ٤١].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [سورة الرعد: ١٣].

وهو صلاة كل شيء؛ كما جاء في الحديث قول نوح عليه السلام في وصيته لابنه: «وسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق» أخرجه أحمد.

وهو أمر الله تعالى لعباده المؤمنين؛ **قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾** [سورة الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وهو عبادة جميع الأنبياء قال الله تعالى موسى عليه السلام: **﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٥٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٥٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٥٧﴾ يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴿٥٨﴾ وَأَجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٥٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٦٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٦١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٦٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٦٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٦٤﴾﴾** [سورة طه: ٢٥ - ٣٤].

وأمر الله تعالى به زكريا عليه السلام؛ **﴿فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً ﴿٣٦﴾ وَأَيُّكَ ءَلَّا تَكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَنًا وَذَكَرَ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِأَلْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ ﴿٣٧﴾﴾** [سورة آل عمران: ٤١].

﴿وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾ [سورة مريم: ١١].

وداود عليه السلام كانت الجبال والطيور تسمع تسييحه، فتردد معه: **﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ ءَاوِيَةٌ مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَءَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾** [سورة سبأ: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [سورة ص: ١٧ - ١٩].

وأما نبينا محمد ﷺ فهو أفضل من صلى وصام، وذكر وقام، وأفضل من تقرب إلى الله تعالى بالتنزيه والتسبيح؛ فلما ضاق صدره من كيد مشركي قريش؛ كان الأمر بالتسبيح: ﴿وَلَقَدْ نَعَّمْنَا أَنْكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [سورة الحجر: ٩٧ - ٩٩].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ إِيَّاتٍ وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [سورة غافر: ٥٥].

فكان ﷺ كثير التسبيح ممثلاً لأمر ربه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ**؛ ففي صلاته كان يفتحها بالتسبيح، وإذا ركع أو سجد سبح الله، وإذا فرغ سبح في دبر الصلوات، يعقد التسبيح على أنامله.

وعندما بلغ دين الله تعالى، وأدى المهمة على التمام، ختم ذلك؛ بل ختم حياته كلها بالتسبيح: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [سورة النصر: ١ - ٣].

فتأول هذه السورة وعمل بها كما في الصحيحين عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي». يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ .

والتسبيح: عبادة الملائكة؛ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَأَمَلَيْتِكُمْ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الشورى:٥].

وهو: ذكر أهل الجنة، جعلنا الله وإياكم من أهلها؛ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة يونس:١٠].

وقد وردت عدة نصوص تدل على فضله وعلو منزلته أذكر منها على سبيل الاختصار والاختصار:

١- عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سئل: أي الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته، أو لعباده: سبحان الله وبحمده»، وفي رواية: «ألا أخبرك بأحبَّ الكلام إلى الله؟» قلت: يا رسول الله، أخبرني بأحبَّ الكلام إلى الله، فقال: «إن أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»؛ [رواه مسلم].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر أحبُّ إليَّ مما طلعت عليه الشمس»؛ [رواه مسلم].

٣- عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قول نوح عليه السلام: «وسبحان الله وبحمده؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يُرزق الخلق». أخرجه أحمد

٤- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دعوة ذي النون إذ هو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدع بها مسلم قط في شيء إلا استجاب له»؛ [رواه أحمد، والترمذي].

٥- رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خِصْلَتَانِ لَا يُحْصِيهِمَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَهُمَا يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلُ بِهِمَا قَلِيلٌ: يَسْبِحُ اللَّهَ فِي دَبْرِ كُلِّ صَلَاةٍ عَشْرًا، وَيَكْبِرُ عَشْرًا، وَيُحْمَدُهُ عَشْرًا»، قال: فرأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يعقدها بيده، «فتلك خمسون ومئة باللسان، وألف وخمسمئة في الميزان، وإذا أوى إلى فراشه سَبَّحَ وَحَمَدَ وَكَبَّرَ مِئَةَ مَرَّةٍ، فَتِلْكَ مِئَةُ بَالِلسَانِ، وَأَلْفٌ فِي الْمِيزَانِ؛ فَأَيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي الْيَوْمِ أَلْفَيْنِ وَخَمْسِمِائَةَ سِئْتَةٍ؟»، قالوا: وكيف لا يحصيهما؟ قال: «يأتي أحدكم الشيطان وهو في الصلاة، فيقول: اذكر كذا وكذا حتى ينفك العبد لا يعقل، ويأتيه وهو في مضجعه فلا يزال ينومه حتى ينام»؛ [رواه أصحاب السنن، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه]

٦- عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: كنا عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة؛ فيكتب له ألف حسنة، أو يحطُّ عنه ألف خطيئة»؛ [رواه مسلم]، وفي لفظ: «ويحطُّ».

٧- عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة؛ حُطَّتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»؛ [متفق عليه].

٨- عن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن ناسًا من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالوا للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما

نصوم، ويتصدّقون بفضول أموالهم، قال: «أوليس قد جعل الله لكم ما تصدّقون؟! إن بكل تسييحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة»، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»؛ [رواه مسلم]،

٩- عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من: سبحان الله وبحمده؛ فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ»؛ [رواه الطبراني، وصححه الألباني].

١٠- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من قال حين يصبح، وحين يمسي: سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه»؛ [رواه مسلم].

١١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»؛ [متفق عليه].

١٢- عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السموات والأرض...»؛ [رواه مسلم].

١٣- عن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، غرست له نخلة في الجنة»؛ [رواه الترمذي، وصحَّحه الألباني].

١٤- عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لقيت إبراهيم ليلة أُسري بي، فقال: يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»؛ [رواه الترمذي].

١٥- عَنْ جُوَيْرِيَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً حِينَ صَلَّى الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِهَا، ثُمَّ رَجَعَ بَعْدَ أَنْ أَضْحَى وَهِيَ جَالِسَةٌ، فَقَالَ: "مَا زِلْتِ عَلَيَّ الْحَالِ الَّتِي فَارَقْتُكَ عَلَيْهَا؟" قَالَتْ: "نَعَمْ. قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مِنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنْتَهُنَّ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ". [أخرجه مسلم].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى فِي الْمَنَارِ الْمَنِيْفِ (٣٤): وأما -مسألة- تفضيل سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافا مضاعفة فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول سبحان الله وبحمده عدد خلقه من معرفته وتنزيهه وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد أعظم مما يقوم بقلب القائل سبحان الله فقط.

وهذا يسمى الذكر المضاعف وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد فلهذا كان أفضل منه وهذا إنما يظهر في معرفة هذا الذكر وفهمه فإن قول المسبح سبحان الله وبحمده عدد خلقه يتضمن إنشاء وإخبارا عما يستحقه الرب من التسبيح عدد كل مخلوق كان أو هو كائن إلى ما لا نهاية له.

فتضمن الإخبار عن تنزيهه الرب وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم الذي لا يبلغه العادون ولا يحصيه المحصون وتضمن إنشاء العبد لتسييح هذا شأنه لا إن ما أتى به العبد من التسييح هذا قدره وعدده بل أخبر أن ما يستحقه الرب **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** من التسييح هو تسييح يبلغ هذا العدد الذي لو كان في العدد ما يزيد لذكره فإن تجدد المخلوقات لا ينتهي عددا ولا يحصى الحاضر. وكذلك قوله ورضا نفسه فهو يتضمن أمرين عظيمين:

أحدهما: أن يكون المراد تسييحا هو والعظمة والجلال سياتن ولرضا نفسه كما أنه في الأول مخبر عن تسييح مساو لعدد خلقه ولا ريب أن رضا نفس الرب لا نهاية له في العظمة والوصف والتسييح ثناء عليه سبحانه يتضمن التعظيم والتنزيه.

١٦- عن أبي أمامة الباهلي، أن رسول الله ﷺ مر به وهو يحرك شفتيه، فقال: «ماذا تقول يا أبا أمامة؟»، قال: أذكر ربي، قال: «ألا أخبرك بأكثر أو أفضل من ذكرك الليل مع النهار والنهار مع الليل؟ أن تقول: سبحان الله عدد ما خلق، وسبحان الله ملء ما خلق، وسبحان الله عدد ما في الأرض والسماء، وسبحان الله ملء ما في الأرض والسماء، وسبحان الله عدد ما أحصى كتابه، وسبحان الله عدد كل شيء، وسبحان الله ملء كل شيء، وتقول: الحمد لله مثل ذلك». [أخرجه ابن حبان في صحيحه].

١٧- عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ؛ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لَا يُضْرَكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأَتْ». [أخرجه مسلم]

وقال المناوي في "فيض القدير": (أحب الكلام إلى الله) تعالى أي كلام البشر لأن الرابعة لم توجد في القرآن ولا يفضل ما ليس فيه على ما هو فيه ويحتمل أن تتناول كلام الله أيضا لأنها وإن لم تكن فيه باللفظ فهي فيه بالمعنى (أربع) في رواية: "أربعة"، (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر) لأنها جامعة لجميع معاني أنواع الذكر من توحيد وتنزيه وصنوف أقسام الحمد والثناء ومشيرة إلى جميع الأسماء الحسنى لأنها إما ذاتية كالله أو جمالية كالمحسن أو جلالية كالكبير فأشير للأول بالتسبيح؛ لأنه تنزيه للذات وللثاني بالتحميد؛ لأنه يستدعي النعم، وللثالث بالتكبير وذكر التهليل لما قيل إنه تمام المئة في الأسماء وإنه اسم الله الأعظم وهو داخل في أسماء الجلال.

١٨- عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ؛ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكَّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكَّرُ بِهِ؟». [أخرجه أحمد].

١٩- عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنْ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَشْرِينَ حَسَنَةً أَوْ حَطَّ عَنْهُ عَشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً». [أخرجه أحمد].

٢٠- عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مِائَةً مَرَّةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ بَدَنَةٍ. وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مِائَةً مَرَّةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَقَبْلَ غُرُوبِهَا كَانَ أَفْضَلَ مِنْ مِائَةِ فَرَسٍ يُحْمَلُ عَلَيْهَا، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ مِائَةً مَرَّةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، كَانَ أَفْضَلَ مِنْ عِتْقِ مِائَةِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحَدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مِائَةً مَرَّةً قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، لَمْ يَجِئْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَدٌ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ إِلَّا مَنْ قَالَ قَوْلَهُ أَوْ زَادَ». أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٦٥٧) وسنده حسن من أجل سلسلة عمرو بن شعيب وإلا فرجاله ثقات.

فهذه بعض الفضائل المنصوص عليها في التسبيح وإلا فهي عبادة جليلة وشأنها عظيم فوق ما ذكر فقد سبح الله نفسه وسبحت له الملائكة المعظمة لقدسه وما تركه نبي وصالح وهو فعل جميع الموجودات بلسان الحال ولسان المقال، والحمد لله رب العالمين.

وأذكر هنا جملاً منها:

- ١- أنه عبادة لله عز وجل.
- ٢- أنه من أحب الذكر إلى الله عز وجل.
- ٣- أنه من أسباب الأجور المضاعفة.
- ٤- أنه من أسباب رفع الدرجات.
- ٥- أنه من أسباب تكفير السيئات.
- ٦- أنه من أسباب الرزق.

٧- أنه تنزيهه لله **عَزَّجَلَّ**.

٨- أنه دليل على عظمة الله **عَزَّجَلَّ**.

٩- أنه دليل على حكمة الخلق سبحانه وتعالى.

١٠- أنه سبب لزيادة الإيمان.

١١- أنه سبب لطرده الشيطان.

١٢- أنه سبب لرضى الرحمن.

١٣- أنه ذكر أهل الجنة وذكر الملائكة.

١٤- أنه مأمور به في كل حين.

١٥- أنه مشروع في كل عبادة.

١٦- أنه سبب لاستجابة الدعاء.

١٧- أنه سبب لتفريج الكرب.

١٨- أنه مذكور بالعباد عند الله.

١٩- أنه فعل الله عز وجل وفعل ملائكته ورسله صلوات الله وسلامه عليهم

٢٠- أنه متضمن للتنزيه ومستلزم للمدح فهو لفظ قصير في مبناه عظيم في

معناه.

وله غير ذلك من الفوائد والله أعلم.



التسبيح هو ذكر أهل الجنة

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَأْكُلُونَ فِيهَا وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَمَلَّوْنَ وَلَا يَبُولُونَ وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَمْتَخِطُونَ" قَالُوا: فَمَا بَالُ الطَّعَامِ؟ قَالَ: «جُشَاءٌ وَرَشْحٌ كَرَشِحِ الْمِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّحْمِيدَ، كَمَا تُلْهَمُونَ النَّفْسَ»، أخرجہ مسلم (٢٨٣٥).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلْجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، أُنِيَّتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلْوَةُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكِ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مِخُّ سَوْقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللَّهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا». أخرجہ البخاري (٣٢٤٥) ومسلم (٢٨٣٤).

❖ مسألة أيهما أفضل التسبيح أم الاستغفار:

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي "الوابل الصيب": (وكذلك أيضًا قد يَعْرِضُ للعبد حاجةٌ ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءةٍ أو ذِكْرٍ لم يَحْضُرْ قلبه فيها، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله على الله تعالى، وأحدث له تضرُّعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء -والحالة هذه- أنفع، وإن كان كلُّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا).

وكذلك أيضًا قد يَعْرِضُ للعبد حاجةٌ ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءةٍ أو ذكرٍ لم يَحْضُرْ قلبه فيها، وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها اجتمع قلبه كله على الله تعالى، وأحدث له تضرُّعًا وخشوعًا وابتهالاً، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء -والحالة هذه- أنفع، وإن كان كلُّ من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجرًا.

وهذا بابٌ نافعٌ يحتاج إلى فقهه نفسٍ، وفرقانٍ بين فضيلة الشيء في نفسه وبين فضيلته العارضة، فيُعْطَى كلُّ ذي حقٍّ حقه، ويُوَضَّعُ كلُّ شيءٍ موضعه. فَلِلْعَيْنِ موضع، وللرَّجْلِ موضع، وللماء موضع، ولللَّحْمِ موضع، وحفظُ المراتب هو من تمام الحكمة التي هي نظامُ الأمر والنهي، والله تعالى الموفق. وهكذا الصابون والأشنان أنفع للثوب في وقتٍ، والتجميرُ وماءُ الورد أنفع له في وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى يومًا: سُئِلَ بعض أهل العلم: أيما أنفع للعبد، التسبيح أو الاستغفار؟ فقال: إذا كان الثوب نقيًّا فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دَنِسًا فالصابون والماء الحارُّ أنفع له. فقال لي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: فكيف والثياب لا تزال دَنِسَةً. اهـ



فصل بيان بطلان صلاة التسايح

ففي سنن أبي داود (1297) قال رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ بَشْرِ بْنِ الْحَكَمِ النَّيْسَابُورِيُّ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ، حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ أَبَانَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: " يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّاهُ، أَلَا أُعْطِيكَ، أَلَا أَمْنَحُكَ، أَلَا أَحْبُوكَ، أَلَا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ، إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ أَوْلَاهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَاهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلَانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ: أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكَعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَعْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكَعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ، قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرَكَعُ، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرَّكُوعِ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا، فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ، فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ، فِي كُلِّ رَكَعَةٍ تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ، فِي عُمْرِكَ مَرَّةً " .

* ولا يعلم عن شيء من العبادات أنها تغفر الذنوب المستقبلية، إنما هذا بحق النبي ﷺ، وما كان من صيام يوم عرفة يكفر السنة الماضية والآتية يعني على القيد الصغائر كما هو معلوم عند جمهور العلماء، وأما أن عبادة من

العبادات تكفر ما يستقبل من الذنوب على أي حال كان هذا لا يعلم، فهي من خصائص النبي ﷺ ﴿لِيُغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

ولذلك يحفظ هذا الحديث كثير من المتعبدين المتنسكين، ثم بعضهم لا يبالي ما فعل، فهذا غير صحيح.

يعني إذا كانت في الركعة الأولى خمسة وسبعين تسبيحة كم سيكون في الركعات الأخرى؟ يعني يحتاج الإنسان إلى عَدَّاد، ما سيستطيع إتقان هذه الصلاة، وفعلا حاولنا أن نصليها في أول استقامتنا، وكنا نعجز، أخذناها من جماعة التبليغ، حين جاءوا قبل أن نطلب العلم، قالوا: هناك صلاة، ومن شأنها كذا وكذا وكذا، وإذا بها صلاة كما ترى.

بوب عليها الشيخ مقبل رَحْمَةُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ لَكِنْ أَخْبَرْنَا أَنَّهُ تَرَاوَعَ عَنْ تَصْحِيحِ الْحَدِيثِ وَهُوَ فِي رِحْلَتِهِ الْعِلَاجِيَّةِ فِي أَمْرِيكَ، زِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ أَنَّ ابْنَ الْجَوْزِيِّ قَدْ حَكَّمَ عَلَيْهَا بِالْوَضْعِ، وَبَعْضُهُمْ لَا يَثْبِتُ الْوَضْعَ لَكِنْ الْحَدِيثَ ضَعِيفًا.



فصل سرد آيات التسييح على ترتيب المصحف

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿١﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [سُورَةُ الْبَقَرَةِ: ٣٠-٣٢]

﴿٣٠﴾ اذكر يا محمد ﴿وَاذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ مخاطبًا لهم في شأن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿٣١﴾ وفيها إثبات صفة الكلام لله عَزَّجَلَّ، على ما يليق بالله عَزَّجَلَّ، وأنه يتكلم بحرف، وصوت متى شاء وكيف شاء، وسيأتي بيان ذلك في مواطن إن شاء الله .

﴿٣٢﴾ (والملائكة): جمع ملك من الإرسال، وهم خلق من نور، كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الذي أخرجه مسلم وهي مخلوقات عظيمة طويلة الأجل، ﴿إِنِّي جَاعِلٌ﴾ خالق، ﴿فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يعمل بالسرعة، ويخلف بعضهم بعضًا.

﴿٣٣﴾ وأما قول البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "أَي: بَدَلًا مِنْكُمْ وَرَأَفِعْكُمْ إِلَيَّ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا أَهْوَنَ الْمَلَائِكَةِ عِبَادَةً".

هذا تفسير غير صواب كما علم من حال الملائكة أنهم: ﴿لَا يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦).

﴿قَالُوا﴾ الملائكة ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ في الأرض ﴿مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا﴾ بالشرك وغيره، كما فعل من قبلهم من الجن كما ذكر بعض أهل التفسير، ﴿وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ بالقتل بغير وجه حق، ﴿وَيَحْنُ نُسُوحًا﴾ ننزهك ونذكرك، فالتسبيح التنزيه ﴿يَحْمَدُكَ﴾ أي: حامدين لك ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ التقديس التطهير.

والمعنى: نظهرك مما لا يليق بك، وقد يراد به الصلاة، وقد يراد به الذكر، والقدوس المنزه، ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الحكم، والمصالح؛ لأن من علم ما لا يعلم المخاطب كان حقيقاً بأن يسلم ما يصدر عنه.

قال ابن كثير رَحْمَةُ اللَّهِ فِي التفسير (١/ ١٣٤): "وَهَذِهِ كَرَامَةٌ عَظِيمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَدَمَ امْتَنَّ بِهَا عَلَى ذُرِّيَّتِهِ حَيْثُ أَخْبَرَ أَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْمَلَائِكَةَ بِالسُّجُودِ لِأَدَمَ، وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ أَحَادِيثُ أَيْضًا كَثِيرَةٌ مِنْهَا حَدِيثُ الشَّفَاعَةِ، وَحَدِيثُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «رَبِّ أَرِنِي آدَمَ الَّذِي أَخْرَجَنَا وَنَفْسَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، فَلَمَّا اجْتَمَعَ بِهِ قَالَ: أَنْتَ آدَمُ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسَجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ» . اهـ .

﴿وَعَلَّمَ﴾ الله ﴿عَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ أي: علمه أسماء كل شيء مما كبر، وصغر، كما هو ظاهر القرآن، ويدخل فيه أسماء الملائكة، وأسماء ذريته، وأسماء الأواني، والصنع التي يعملها، ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: عرض مسمياتها ﴿فَقَالَ أَنِيعُونِي﴾ أخبروني ﴿بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ بمسمياتها، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن بني آدم أصحاب فساد في الأرض.

﴿ ٣٢ ﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ ﴿ تنزيهه، وتقديس من الملائكة لله عَزَّوَجَلَّ ﴿ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴿ أنه لا يحيط أحد بشيء من علمك إلا بما شئت أن تطلعهم عليه، ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ ﴿ بكل شيء، ﴿ الْحَكِيمُ ﴿ في أفعالك، وأمرك، وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ﴿ لَمَّا صَوَّرَ اللَّهُ آدَمَ فِي الْجَنَّةِ تَرَكَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَتْرُكَهُ، فَجَعَلَ إِبْلِيسُ يُطِيفُ بِهِ، يَنْظُرُ مَا هُوَ، فَلَمَّا رَأَهُ أَجُوفَ عَرَفَ أَنَّهُ خُلِقَ خَلْقًا لَا يَتِمَّالِكُ ﴾ أخرجه مسلم (٢٦١١).

و(الأجوف) الذي يحتاج إلى غيره؛ لسد الجوف، والشهوة، وعلم إبليس عند ذلك أن هذا المخلوق يسهل الدخول إليه من هذه التجاويف، وقد ذكر المفسرون هاهنا أمورًا كثيرة فيها خلاف كثير، وهذا الخلاف الذي ذكر في تفسير الآيات كثير منه ناتج عن التفسير ببعض المعنى، أو التفسير بالإسرائيليات، وإبليس كان من الجن، كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ [الكهف:٥٠]، فلا التفات إلى من قال أنه كان من الملائكة.

فالله عَزَّوَجَلَّ خلق الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وفرق بين النور والنار؛ ولذلك كان في الملائكة الطاعة، وفي الشيطان الطيشان؛ لأصل خلقته، والإنسان فيه كثير من صفات الأرض؛ لأصل خلقته، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةِ قَبْضِهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ؛ جَاءَ مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ ﴾ أخرجه أبو داود (٤٦٩٣) عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۗ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضِ ۗ كُلُّ لَّهُ قٰنُتُوْنَ ۗ﴾ [سورة البقرة: ١١٦].

﴿١١٥﴾ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ وهذا قول النصارى واليهود، والمشركين أيضًا؛ لأنهم زعموا أن الملائكة بنات الله، وهذا من أقبح القول؛ إذا جعلوا لله **عَزَّوَجَلَّ** الصاحبة والولد، قال تعالى مخبراً عن الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]؛ لأن الصاحبة يحتاجها الإنسان المخلوق الضعيف في نفسه، فيحتاج إلى من يعينه في طبخه، وأكله، وشربه، وإلى إيناسه، وقضاء وطره، ويحتاج الولد لما يلحقه من الموت، والله **عَزَّوَجَلَّ** هو الحي القيوم. ﴿سُبْحٰنَهُ﴾ أي: ينزه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن هذه الدعوة القبيحة، وهذه المسبة السيئة لله **عَزَّوَجَلَّ**، ففي حديث أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «مَا أَحَدٌ أَضْبَرَ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَىٰ، إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدًّا وَيَجْعَلُونَ لَهُ وَلَدًا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعَافِيهِمْ وَيُعْطِيهِمْ» متفق عليه. ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ المُلْكُ أَجْمَعُ خَلْقًا، وَإِجَادًا، ﴿كُلُّ لَّهُ قٰنُتُوْنَ﴾ طائعون، والطاعة في حق المؤمن بامثال أمر الله **عَزَّوَجَلَّ**، وفي حق الكافر تكون عبادة القهر، قال بعضهم يسجد له ظلهم، أو يسجدون له، ويسبحونه بلسان الحال، لا بلسان المقال، إلى غير ذلك

والله أعلم كيف يكون، لكن أثباتها بلسان الحال في حق الكافرين أظهر؛ لأن بعضهم ما سجد الله سجدة، ولا سبح الله تسيحة، وقد أخبر الله **عَزَّوَجَلَّ** خبراً

صَادِقًا: ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِيَّايَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، وقال: ﴿يَسْبِيحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، إلى غير ذلك.

وفي معاني القنوت قال الحافظ في "الفتح":

وَلَفْظُ الْقُنُوتِ أَعْدُدُ مَعَانِيَهُ تَجِدُهُ
دُعَاءَ خُشُوعٍ وَالْعِبَادَةَ طَاعَةً
سُكُوتٍ صَلَاةٍ وَالْقِيَامَ وَطُولَهُ
مَزِيدًا عَلَى عَشْرِ مَعَانِي مَرْضِيَّةٍ
إِقَامَتَهَا إِقْرَارَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ
كَذَلِكَ دَوَامَ طَاعَةِ الرَّابِحِ الْقُنِيَّةِ



سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعِشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾﴾ [سورة آل

عمران: ٤١].

﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ علامة أعلم بها وقت حمل المرأة، ﴿قَالَ آيَتُكَ
أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ تكف عن الكلام ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ إشارة، أي: أنه لا
يستطيع أن يتكلم في هذه الثلاثة الأيام بدون بلية لحقت به، أو مرض حل فيه،
وإنما هي آية من آيات الله عَزَّجَلَّ، فكان إنما يشير إليهم إشارة، ولا بأس أن يعقد
لسانه عن الكلام في شأن الناس، ويبقى منطلقا في الكلام في الدعاء والذكر، ونحو
ذلك.

﴿وفيه: جواز العمل بالإشارة.﴾

﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ أي: اشكره على هذه النعمة العظيمة، وأطعه ﴿وَسَبِّحْ﴾ بقول
سبحان الله، ويدخل فيه الصلاة وغير ذلك ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ وهو آخر النهار ﴿وَالْإِبْكَرِ﴾
﴿وهو أول النهار، وهذان وقتان مباركان لذكر الله عَزَّجَلَّ.﴾ كما قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ
جِئْنَ تُمْسُونَ وَجِئْنَ تَصْبِحُونَ﴾ ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَجِئْنَ
تُظْهِرُونَ﴾ [الروم: ١٧-١٨].

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٩١].

﴿١٩١﴾ وهم ﴿الَّذِينَ﴾ من حالهم أنهم ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا﴾ في حال قيامهم في صلاتهم، وغير ذلك ﴿وَقُعُودًا﴾ حال قعودهم سواء في صلواتهم، وغير ذلك ﴿وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ بصلاتهم، وبأذكار النوم، ونحوه ذلك.

وفي البخاري (١١١٧) عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ بِي بَوَاسِيرُ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَىٰ جَنْبٍ».

هذا عند التفسير بالخصوص، وأما على قول أكثر المفسرين فالآية دالة على تعيين ذكر الله عَزَّوَجَلَّ في جميع الأحوال كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيهما من السعة، والعظمة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق الواسع المتقن ﴿بَطْلًا﴾ عبثًا، وإنما أوجدتهما لحكمة بديعة، ولغاية عظيمة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الدخان: ٣٨، ٣٩]، ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون في ملكه، ﴿فَقِنَا﴾ جنبنا وأبعد عنا ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ بتوفيقنا إلى طاعتك، والبعد عن معصيتك.



سُورَةُ النَّسَاءِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة النساء: ١٧١].

﴿٧١﴾ ﴿يَأْهَلُ الْكِتَابِ﴾ اليهود النصارى، ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾.

﴿و(الغلو): هو مجاوزة الحد سواء كان بالإفراط، أو في التفريط.

﴿وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ من أنه لا إله إلا هو لا رب غيره، ولا إله بحق سواه، ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ﴾ لا كما تزعم النصارى أنه ابن الله، أو أنه ثالث ثلاثة، أو كما تزعم اليهود بأنه ولد زنا حاشاه من ذلك. وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ عَلَى الْمِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تُطْرُونِي، كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللَّهِ، وَرَسُولُهُ» أخرجه البخاري (٣٤٤٥).

﴿وَكَلِمَتُهُ﴾ أي: أنه كان بالكلمة قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنِّ مِثْلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمِثْلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: ٥٩].

﴿وليس هو نفس الكلمة كما زعمت النصارى فإنهم حين جعلوه عين الكلمة

عبدوه وألهوه.

﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرِيَمَ﴾ أي تكلم الله بها فكان بها عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي قوله: ﴿كُنْ﴾، ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كما قال تعالى: ﴿فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا﴾ [التحریم: ١٢]، أي: هو من الأرواح التي خلقها الله عَزَّجَلَّ، وأضافها إلى نفسه تشریفًا.

❖ **فالمضاف إلى الله عَزَّجَلَّ ينقسم إلى قسمين:**

• **الأول:** ما يقوم بنفسه: فإضافته إلى الله إضافة تشریف، أو خلق وإيجاد كالروح، والناقة، وبيت الله .

• **والثاني:** ما يقوم بغيره: سواء كان من المعاني، أو الأعيان، فإضافتها إلى الله إضافة صفة إلى موصوف كعلم الله، ووجه الله، وغضب الله، ومكر الله .
فبتحقيق هذه القاعدة المهمة تسلم من تحريف المعتزلة، والجهمية، والأشاعرة، ومن إليهم.

﴿فَعَامِنُوا بِاللَّهِ﴾ رَبًّا ﴿وَرُسُلِهِ﴾ الَّذِينَ بَلَّغُوا دِينَهُ لَا تَفْرُقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ﴾ لَا تَقُولُوا بِأَنَّ الْآلِهَةَ ثَلَاثَةٌ: (الأب، والابن، وروح القدس)، أو (اللاهوت، والناسوت) كما يزعم النصارى عليهم لعائن الله، ﴿أَنْتَهُوْا﴾ عن هذا القول القبيح ﴿خَيْرًا لَّكُمْ﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ حصر للألوهية الحققة في الله عَزَّجَلَّ لا شريك له كما قال: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَكْدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيه الله عَزَّجَلَّ ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ وُلْدٌ﴾؛ لأن الولد إنما يحتاجه

الأب المخلوق الناقص الذي يموت ويضعف إلى غير ذلك، فيحتاج إلى ولد يرثه، وإلى من يقوم عليه إذا كبر، ويعينه إذا ضعف، وإلا فإن الله **عَزَّوَجَلَّ** غني كريم، قال تعالى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ [٩٢] **إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۗ** ﴿٩٣﴾ [مريم: ٩٠-٩٣]،

وهذا القول العظيم القبيح، مسبة الله **عَزَّوَجَلَّ** يتأذى الله **عَزَّوَجَلَّ** منها، فعن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «لَا أَحَدَ أَضْبِرُ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه.



سُورَةُ الْمَائِدَةِ

﴿٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَٰلِمُ الْغُيُوبِ﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

١١٦ ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ﴾ يوم القيامة ﴿يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما زعمت النصارى فعبدوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وعبدوا أمه مع الله عَزَّجَلَّ وربما سموهم بـ(الأقانيم الثلاثة)، وربما قالوا: (اللاهوت والناسوت)، إلى غير ذلك.

﴿قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ أي: أنزهك يا الله، ويؤتى به للتعجب مما نُسب إلى الشخص ولدفع التهمة، ﴿مَا يَكُونُ﴾ ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ﴾ وهو رسول الله يعلم ما يجب لله عَزَّجَلَّ وما يجوز عليه وما يمتنع عنه، وهو من دعا إلى التوحيد حيث أرسله الله لذلك فكيف يدعو إلى الشرك والتنديد؟ ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ وَفَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا﴾ أخفيه ﴿فِي نَفْسِي﴾ نفس عيسى.

❖ وهل هي الذات أو هي صفة من صفات الذات؟

﴿اختلف العلماء في ذلك، والصحيح﴾: أنها الذات المتصفة بالصفات، وقد زعم بعض المبتدعة من المعتزلة أن عيسى كفر بقوله: ﴿وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ أي: نفس الله، فيه إثبات صفة النفس لله عَزَّجَلَّ؛ لأنه أثبت النفس لله فزعموا أنه



ممثل، وهذا دليل على بعد ضلالهم وسحقه، ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ كما أنه
عالم بالظواهر **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.



سُورَةُ الْأَنْعَامِ

﴿٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٠].

١٠٠ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ﴾ يريد المشركين ﴿شُرَكَاءَ﴾ في عبادته ﴿الْجِنَّ﴾ الشياطين ﴿وَ﴾ قد ﴿خَلَقَهُمْ﴾ الله ﴿عَزَّجَلَّ﴾ وأوجدهم من العدم، وهذا فعل منهم سيء كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ ﴿٢٢﴾ [النجم: ٢٢]، ﴿وَخَرَقُوا﴾ اختلقوا ﴿لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أضافوا إليه البنين والبنات تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً، فزعموا أن الملائكة بنات الله وأن عيسى وعزيراً أبناء الله، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى﴾ تنزيهاً له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾، بأن له ولداً وصاحبة، قال الله ﴿عَزَّجَلَّ﴾ مخبراً عن مؤمن الجن: ﴿وَأَنَّهُ وَتَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ﴿٣﴾ [الجن: ٣].



سُورَةُ الْأَعْرَافِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٦٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيَنَّكَ وَلَا كِنِ أَنْظُرَ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِيَنَّاهُ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾﴾ [سورة الأعراف: ١٦٣].

﴿١٦٣﴾ ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٦٣﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ للوقت الذي وقته الله له، ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾. فيه إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وهي صفة ذاتية فعلية وقد عمد أهل الباطل إلى تحريفها وزعموا أن معنى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، أي: جرحه بأظافير الحكمة، وحرفها بعضهم: بقوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة فيكون من المقدم والمؤخر.

وقد روي أن أحدهم جاء إلى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء فقال له: اقرأ ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾، قال: رأيت إن قرأتها لك فما تفعل بقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٦٣]؛ لأن الضمير يعود إلى أقرب المذكور، فالمكلم هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والمكلم هو موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والكلام صفة كمال ومعطي الكمال أولى به، والكلام معنى يقوم بغيره، بإضافته إلى الله عَزَّوَجَلَّ إضافة صفة إلى موصوف، وهذا الكلام: الكلام الخرص وهو صفة ذم والله منزه عن كل نقص وعيب؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، أي: الوصف الأعلى.

﴿قَالَ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ كما أكرمه الله بالكلام طمع في الرؤية، ﴿قَالَ لَنْ تَرِنِي﴾ أي لا تراني في الدنيا.

❖ وبهذه الآية استدل المعتزلة على أن الله لا يرى في الآخرة، ولا دلالة لهم فيها، بل هي دليل عليهم:

أولاً: لم يقل: يا موسى لا أرى.

الثاني: أن موسى أعلم الناس بربه ولذلك سأل شيئاً معلوماً وممكناً.

الثالث: أن الله علق الرؤيا بممكن وهو ثبوت الجبل، فلو شاء أن يُثبت الجبل لثبت ورأى موسى ربه.

الرابع: أن الله تجلى للجبل والجبل مخلوق، إلى غير ذلك من الأوجه، وقد عاتب الله عَزَّوَجَلَّ نوح عليه السلام حين قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٥٥]، ولم يُعاتب موسى حين قال: ﴿أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾، وأما قولهم بأن (لن) تفيد التأييد فقول مردود حتى قال ابن مالك:

وَمَنْ يَرَى النَّفْيَ بِلَنْ مُؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْدُدْ وَسِوَاهُ فَاغْضَدَا

ويرد عليهم بقوله: ﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، فلما قيدته باليوم دل على أنها ستكلمهم في غده، وقوله: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، وقد تمنوه في قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقوله: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ [يوسف: ٨٠]، فقيده بالإذن.

﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الذي هو أقوى منك، ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ﴾ ثبت مكانه وفسوف تَرِنِي ﴿إذ أن الجبل حجارة صماء فلو ثبتت لتجلي الله عَزَّوَجَلَّ فتستطيع الرؤية، وأما إذا صارت دكًا فاعلم أنك عاجز عن ذلك، وفي حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ: «أَنْتُمْ لَنْ تَرَوْنَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا» أخرجه أحمد (٢٢٦٦٤)، بل في مسلم، ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى﴾ ظهر ﴿رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾.



وفي المسند (١٢٢٦٠): عن ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] قَالَ: «قَالَ: هَكَذَا، يَعْنِي أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرْفَ الْخِنْصَرِ قَالَ: أَبِي: أَرَانَاهُ مُعَاذُ قَالَ: فَقَالَ لَهُ حُمَيْدُ الطَّوِيلُ: مَا تَرِيدُ إِلَيَّ هَذَا يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: فَضْرَبَ صَدْرَهُ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: مَنْ أَنْتَ يَا حُمَيْدُ؟ وَمَا أَنْتَ يَا حُمَيْدُ، يُحَدِّثُنِي بِهِ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتَقُولُ أَنْتَ مَا تَرِيدُ إِلَيْهِ».

﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مذكوكًا لا حجارة فيه مبسوطا على الأرض، ﴿وَحَرَّ مَوْسَى صَعِقًا﴾ أي: لشدة الصعقة ولهول الحدث، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ من صعقته، ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من طلب ما لم أومر به، ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في زماني وقيل: أنك ترى يوم القيامة.

وأما رؤية النبي ﷺ لربه ليلة المعراج فلا يثبت فيه شيء، ومعنى قول الله عز وجل يقول: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١]، أنه رأى ربه بفؤاده، فعن مسروق، قال: «قُلْتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أُمَّتَاهُ هَلْ رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالَتْ: لَقَدْ قَفَّ شَعْرِي مِمَّا قُلْتَ، أَيْنَ أَنْتَ مِنْ ثَلَاثٍ، مَنْ حَدَّثَكُنَّ فَقَدْ كَذَبَ مَنْ حَدَّثَكَ أَنْ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ كَذَبَ».

وقد سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ قال: «رَأَيْتُ جِبْرِيلَ لَهُ سِتْمَائَةٌ جُنَاحٌ» متفق عليه، وفي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالوا يا رسول الله هل رأيت ربك قال: «رَأَيْتُ نُورًا» أخرجه مسلم (١٧٨).

﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَ لَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٥٦﴾ [سورة الأعراف: ٢٠٦].

﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الملائكة، ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ولا يستحسرون، كما قال الله لأبي بصير: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، وقال: ﴿لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، ﴿وَيُسَبِّحُونَهُ﴾ يذكرونه، وينزهونه، ويحمدونه، ويكبرونه، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «اضْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» أخرجه مسلم (٢٧٣١).

﴿وَلَهُ يُسْجُدُونَ﴾ يصلون تعظيماً لشأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والسجود يُعتبر من أعظم العبادات؛ لما فيه من الذل والخضوع بين يدي الله عَزَّ وَجَلَّ، وهذه أول سجدة تُذكر في القرآن.

وقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند مسلم: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا قَرَأَ ابْنُ آدَمَ السَّجْدَةَ فَسَجَدَ، اغْتَزَلَ الشَّيْطَانُ يَبْكِي وَيَقُولُ: يَا وَيْلَهُ أُمِرَ ابْنُ آدَمَ بِالسُّجُودِ فَسَجَدَ؛ فَلَهُ الْجَنَّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ فَأَبَيْتُ؛ فَلِيَ النَّارُ» أخرجه مسلم (٨١). وفي حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ» أخرجه مسلم (٤٨٨)، لكن هذا يُحمل على الصلاة الكاملة، والله أعلم.

وسجود التلاوة من المستحبات، إلا إذا كنت خلف إمام فإذا سجد تعين عليك متابعتة؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الْإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ» متفق عليه.

ولا يشترط لها الطهارة، ولا يلزم فيها التكبير، وما جاء عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كبر فممن رواية عبد الله العمري وهو ضعيف، والله أعلم.



سُورَةُ التَّوْبَةِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة: ٣١].

﴿ومن شأن اليهود والنصارى أنهم: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهَيْبَنَهُمْ﴾ عباد النصارى؛ ولهذا قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا ففيه شبهة من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبهة بالنصارى، ورحم الله عبد الله بن المبارك إذ يقول:

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ وَأَعْبَارُ سَوْءٍ وَرُهَيْبَانُهَا

﴿أَرْبَابًا﴾ أطاعوهم في معصية الله واستحلوا ما حرم الله، ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ وقد جاء عن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثْنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ فَأَنْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءةٍ: ﴿اتَّخِذُوا أَعْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، حَتَّى فَرَعَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ» أخرجه الترمذي (٣٠٩٥)، وفي سنده غُطِيف بن أعين ليس بمعروف، ولكن الآية تشهد لهذا الحديث.

﴿و﴾ اتخذوا ﴿الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ إلها من دون الله وأشركوا ونددوا به، وهو بريء من هذا الأمر حيث يقول: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ

لِلنَّاسِ اتَّخَذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ ﴿المائدة: ١١٦﴾.

﴿وَمَا أُمْرُوا﴾ اليهود والنصارى ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ يوحّدوا ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وهو الله
 عَزَّجَلَّ لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته فهو المتفرد
 بالخلق والمُلك والتدبير كما أنه المتفرد بالعبادة الحقّة، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه لله
 عَزَّجَلَّ عما ادعاه في حقه المبطلون من الصاحبة والولد، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينددون،
 ويضاهون، ويمثلون، وغير ذلك من المعاني.



سُورَةُ يُونُسَ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَنَجَّيْتَهُمْ فِيهَا مِنْ أَيْدِي الْعَالَمِينَ﴾﴾
 ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْهَا الْيُوسُفَ بِرُحْمَةٍ وَأَقَامُوا تِلْكَ الْحَدِيثَ﴾﴾ [سورة يونس: ١٠].

﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا﴾ دعاؤهم وهجيرهم وكلامهم في الجنة: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ كما قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ يُلْهَمُونَ الْحَمْدَ وَالتَّسْبِيحَ كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفْسَ» رواه مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ﴿وَنَجَّيْتَهُمْ فِيهَا﴾ يحيي بعضهم بعضاً ﴿سَلَامٌ﴾ أي: فيما بينهم يسلم بعضهم على بعض، وكذلك يسلم الله عزَّجَلَّ عليهم، وتسلم عليهم الملائكة، فيدخلون دار السلام ويحيون بالسلام، ﴿وَأَخْرَجُوا دَعْوَاهُمْ﴾ في كل مرة يسبحون ويحمدون، ﴿أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فيفتتحون كلامهم بالتسبيح ويختمون بالحمد، وكان ختم المجالس في الدنيا به. فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا كَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ، ثُمَّ قَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ، غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ»، وله شاهد من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند أبي داود.

﴿١٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنْتَوْنَ اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة يونس: ١٨].

﴿١٨﴾ ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون المنددون، ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله ﴿عَزَّجَلَّ﴾ من الأصنام والأوثان، ﴿مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ ما لا يملك لهم ضراً فيتقون بعبادتهم له الضر، ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ ولا يملك لهم نفعاً فيستجلبون بعبادتهم له النفع، بل يعبدون حجارة صماء بكماء لا حراك لها ولا نفع، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفْلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦]، ﴿وَيَقُولُونَ﴾ معتردين عن عبادتهم لهم ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الأصنام ﴿شَفَعُونَا﴾ يشفعون لنا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ والله ﴿عَزَّجَلَّ﴾ قد رد هذا بقوله: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فقطع الله ﴿عَزَّجَلَّ﴾ عنهم جميع أنواع التعلقات كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، ﴿قُلْ أَتُنْتَوْنَ﴾ أتخبرون ﴿اللَّهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ من أن له شركاء وشفعاء بغير إذنه، ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه لله ﴿عَزَّجَلَّ﴾، ﴿وَتَعَالَى﴾ تعظيمه لله ﴿عَزَّجَلَّ﴾، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول المنددون المخالفون.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿١٣﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَہُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة یونس: ٦٨]..

﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ النصارى والیہود ومن وافقہم، بل إن المشرکین زعموا أن الملائکة بنات الله تعالى الله عن قولہم علواً کبیراً، ﴿سُبْحَانَہُ﴾ تنزیہ الله عَزَّجَلَّ عن هذه التهمة الشنیعة، ﴿هُوَ الْغَنِيُّ﴾ إنما یحتاج الولد المخلوق الذی یموت ویضعف وإلا فإن الله عَزَّجَلَّ غناه ذاتی فهو الغنی کیف یكون له ولد؟ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وما بینہما وما فیہما، ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطٰنٍ﴾ حجة ﴿بِهَذَا﴾ القول، ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فإن هذا من أعظم الإجرام.



سُورَةُ يُوسُفَ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾﴾ [سورة يوسف: ١٠٨].

﴿قُلْ﴾ يا محمد، ﴿هَذِهِ سَبِيلِي﴾ طريقي، ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ إلى إفراده بما يجب كما قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ علم وهدى، ﴿أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ كلنا ندعو إلى الله على علم، وقيل: أدعو إلى الله على بصيرة، ومن اتبعني وآمن بي على بصيرة وعلم. وفيه: فضيلة الاتباع، وقد قال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، في أدلة غير هذه، وقال سفيان: "وجدنا الأمر كله بالاتباع" أخرجه الخطيب في "الفتية والمتفقه".

﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيه الله **عَزَّجَلَّ** عن الشريك، والنظير، والمثيل، والمعين وجميع أنواع النقائص والعيوب، ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ المنددين، بل هو **عَزَّوَجَلَّ** من الموحدين المنقادين لدين رب العالمين **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

﴿وَفِي هَذِهِ آيَةٌ مَعْنَى لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ تَضَمَّنَتْ: النَّفْيَ وَالْإِثْبَاتَ فَقَوْلُهُ: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ﴾ إثبات، وقوله: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نفي.

❁ وفي هذه الآية: تَعَيَّنَ الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك والتنديد؛ لكثرة المخالفين في هذا الباب؛ ولأنه حق الله المعظم، والواجب المفخم الذي لا يجوز أن يُهمل في كل وقت وحين.

وما زال النبي ﷺ يدعو إلى التوحيد منذ بعثه الله ﷻ ﷺ وحتى قبضه إليه، وقد أمرنا الله ﷻ ﷺ بالتأسي بالنبي ﷻ ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومن هذا التأسي به في الدعوة إلى الله ﷻ ﷺ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقد قال ﷻ ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً»، ولما خطبهم يوم عرفات قال: «أَلَا لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» متفق عليه، فلو قام الناس بالدعوة إلى الله بعلم وبصيرة لزال الشر العظيم، وثبت الخير الكثير، ولكن إلى الله المشتكي فمن الناس من ترك الدعوة إلى الله ﷻ ﷺ ولزم الجهل ومنهم من يدعو لكن إلى غير الله ﷻ ﷺ بل إلى حزبه وطريقه ومذهبه، ومنهم من يدعو إلى البدع والضلالات، والله المستعان.



سُورَةُ الرَّعْدِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾﴾ [سُورَةُ الرَّعْدِ: ١٣].

﴿وَيُسَبِّحُ﴾ ينزه الله **عَزَّجَلَّ**، ﴿الرَّعْدُ﴾ الصوت الذي يكون مع البرق، ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بعظيم شأنه، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يسبحون أيضاً، ﴿مِنْ خِيفَتِهِ﴾ خوفاً من الله **عَزَّجَلَّ**، وفي الباب عن مجموعة من الصحابة مرفوعاً وموقوفاً عند حصول الرعد والبرق أن يقال: «سُبْحَانَ الَّذِي يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ»، وأصحها ما جاء عن ابن الزبير وما في بابه، فلا بأس بالعمل والله أعلم، ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ﴾ المحرقة والمهلكة، ﴿فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ممن تمرد على شرعه أو ممن أراد الله **عَزَّجَلَّ** له غير ذلك، ﴿وَهُمْ يُجَادِلُونَ﴾ يخاصمون ﴿فِي اللَّهِ﴾ في آياته، ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ المكر والمغالبة والأخذ، فهي صفة لله على ما يليق بجلاله.

﴿وَفِي سَبَبِ نُزُولِهَا: مَا أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ إِلَى رَجُلٍ مِنْ عُظَمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ يَدْعُوهُ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَقَالَ: أَيْشَ رَبُّكَ الَّذِي تَدْعُو إِلَيْهِ؟ مِنْ نَحَاسٍ هُوَ؟ مِنْ حَدِيدٍ هُوَ؟ مِنْ فِضَّةٍ هُوَ؟ مِنْ ذَهَبٍ هُوَ؟ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَهُ إِلَيْهِ الثَّلَاثَةَ فَقَالَ: مِثْلَ ذَلِكَ فَاتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَرْسَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ صَاعِقَةً فَأَحْرَقَتْهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ عَلَيَّ صَاحِبِكُ صَاعِقَةً فَأَحْرَقْتَهُ»، فَتَزَلَّتْ

هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ
شَدِيدُ الْحَالِ﴾.



سُورَةُ الْحَجْرِ

﴿٦٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [سورة الحجر: ٩٨].

﴿٦٨﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فصل بأمر ربك، ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ من المصلين

المتواضعين، الذاكرين لله عَزَّوَجَلَّ الداعين له



سُورَةُ النَّحْلِ

﴿١٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[سورة النحل: ١].

﴿١﴾ ﴿أَتَىٰ﴾ دنا وقرب، وعبر بالماضي لتيقن وقوعه ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ الساعة، كما قال تعالى: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]، وقال: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾ [الأنبياء: ١]، تقول العرب: أتاك الأمر وهو متوقع بعد، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ وقوعاً، واستعجالهم العذاب، ذكره الله في آيات منها قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٣].

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعيه» متفق عليه، وقال قوم: المراد بالأمر هاهنا عقوبة المكذبين بالعذاب والسيف.

﴿١٧﴾ والأول أظهر.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزهه عن كل نقص ﴿وَتَعَالَى﴾ تعاضم بالأوصاف الحميدة ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عما يصفه به المشركون من النقص، والعيب، والصحابة، والولد.

﴿١٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سورة

النحل: ٥٧].

﴿١٨﴾ ﴿و﴾ من حالهم أنهم ﴿يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ﴾ وهم خزاعة وكنانة، قالوا: الملائكة بنات الله تعالى: ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيهه الله عَزَّجَلَّ ﴿و﴾ يجعلون ﴿لَهُمْ﴾

لأنفسهم ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾ من البنين الذكور، كما قال تعالى: ﴿الْكُفْرُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾ ﴿١١﴾ تِلْكَ إِذْ أَقْسَمَهُ ضِيْزَى ﴿٢٢﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [الصافات: ١٥١-١٥٤].



سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

﴿١٩﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

[سورة الإسراء: ١].

﴿سُبْحَانَ﴾ تمجيد الله **عَزَّوَجَلَّ** لنفسه وتنزيهه عن كل نقص وغيب ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ أي: سيره، وسرى به، والعبد هو: محمد **ﷺ**، وصفه الله بالعبودية في أشرف المواطن إذ أن النبي **ﷺ** عبدٌ فلا يعبد ورسول فلا يكذب، ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ قيل: كان الإسراء من مسجد مكة. وقال قوم: عرج به من دار أم هانئ بنت أبي طالب ومعنى قوله: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: من الحرم. قال مقاتل: كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة، وقيل بثلاث سنين، ويقال: كان في رجب. وقيل: كان في رمضان، والله أعلم ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ يعني: بيت المقدس، وسمي أقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار. وقيل: لبعده من المسجد الحرام. ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالأنهار والأشجار والثمار، وقال مجاهد: سماه مباركًا؛ لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي، وفيه الصخرة ومنه يحشر الناس يوم القيامة، ومن بركته تفضيله على غيره من المساجد سوى المسجد الحرام ومسجد رسول الله **ﷺ** ومضاعفة الصلاة فيه.

فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ **ﷺ**: «أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ **ﷺ** لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَلَ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** خِلَالَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ: سَأَلَ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ، وَسَأَلَ اللَّهَ **عَزَّوَجَلَّ** حِينَ فَرَّغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ أَنْ لَا يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لَا يَنْهَرُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ فِيهِ

أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ حَاطِيَّتِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ» أخرجه النسائي (٦٩٣) وقد كان قبلة للأمم السابقة وصلى إليه رسول الله ﷺ قبل تحويل القبلة.

﴿لِزَيَّهٖ مِنْ ءَايَتِنَا﴾ من عجائب قدرتنا، وقد رأى الأنبياء والآيات الكبرى، ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ذكر السميع لينبه على أنه المجيب لدعائه، وذكر البصير لينبه على أنه الحافظ له في ظلمة الليل، وقد ذكر الله ما يتعلق بالمعراج في قوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ١٣-١٨]. والإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد يقظة لا مناما، وإلا لما أنكرته

قريش واستعظمتها، وهذا الذي تواترت به الأخبار عن رسول الله ﷺ.

منها حديث أنس رضي الله عنه في الصحيحين: «لَيْلَةَ أُسْرِي بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ: جَاءَهُ ثَلَاثَةٌ نَفَرًا، قَبْلَ أَنْ يُوحَىٰ إِلَيْهِ، وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ. فَقَالَ أَوْلَهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟»

فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ.

وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ.

فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّىٰ جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَىٰ فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلَا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الْأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلَا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَّجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.»

ومنها حديث: «أُتِيَتْ بِالْبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضٌ طَوِيلٌ فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبُغْلِ، يَضَعُ حَافِرُهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرَفِهِ.»

قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّىٰ أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ.

قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلَقَةِ الَّتِي يَرْتَبُطُ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ.

قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ.

فَقَالَ جِبْرِيلُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ.
فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟.

قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟.

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِأَدَمَ، فَرَحَّبَ بِي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ
بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟.

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْنِي الْخَالَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَيَحْيَى بَنِ
زَكَرِيَّاءَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ
الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟.

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ
الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قَالَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟. قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ
وَ دَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾﴾ [مریم: ٥٧]، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى

السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ.

قِيلَ: مَنْ هَذَا؟. فَقَالَ: جِبْرِيلُ.

قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ.

قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَحَّبَ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ.

فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟

قَالَ: مُحَمَّدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟

قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السُّدْرَةِ الْمُتْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَأَذَانِ الْفَيْلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقَلَالِ.»

قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ؟

قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً.

قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ

بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَّرْتُهُمْ.»

قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي.

فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، حَفَّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى.

فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي حَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

قَالَ: فَلَمْ أَرْزُلْ أَرْجِعْ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ حَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ حَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً.

قَالَ: فَنَزَلَتْ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَقُلْتُ: قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ متفق عليه.

وقد أخرج البخاري الحديث من طريق شريك بن أبي نمر، ولكن مجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء بل تزيد على ذلك:

الأول: أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في السماوات وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم وقد وافقه الزهري في بعض ما ذكر.

الثاني: كون المعراج قبل البعثة.

الثالث: كونه مناما. الرابع: مخالفته في محل سدرة المنتهى وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله والمشهور أنها في السابعة أو السادسة الخامسة: مخالفته في النهرين وهما النيل والفرات وأن عنصرهما في السماء الدنيا والمشهور في غير روايته أنهما في السماء السابعة وأنهما من تحت سدرة المنتهى.

السادس: شق الصدر عند الإسراء وقد وافقته رواية غيره.

السابع: ذكر نهر الكوثر في السماء الدنيا والمشهور في الحديث أنه في الجنة.

الثامن: نسبة الدنو والتدلي إلى الله عز وجل والمشهور في الحديث أنه جبريل.

التاسع: تصريحه بأن امتناعه ﷺ من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة.
 العاشر: قوله فعلا به الجبار فقال وهو مكانه.
 الحادي عشر: رجوعه بعد الخمس والمشهور في الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع.
 الثاني عشر زيادة ذكر التور في الطست فهذه أكثر من عشرة مواضع في هذا الحديث لم أرها مجموعة في كلام أحد ممن تقدم وقد بينت في كل واحد إشكال من استشكله والجواب عنه إن أمكن وبالله التوفيق وقد جزم بن القيم في الهدى بأن في رواية شريك عشرة أو هام لكن عد مخالفته لمحال الأنبياء أربعة منها وأنا جعلتها واحدة فعلى طريقته تزيد العدة ثلاثة وبالله التوفيق. انتهى مختصرا من فتح الباري لابن حجر.

﴿١٠﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا ﴿٤٣﴾ سُبْحٰنُ لَهٗ السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ اِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُوْنَ تَسْبِيْحَهُمْ اِنَّهٗ كَانَ حَلِيْمًا غَفُوْرًا ﴿٤٤﴾﴾ [سورة الإسراء: ٤٣-٤٤].

﴿٤٣﴾ ثم نزه نفسه فقال عز من قائل: ﴿سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُقُولُونَ﴾ من الشركاء، ﴿عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾ لكماله وعظمته وتفرده.
 ﴿٤٤﴾ ﴿سُبْحٰنُ لَهٗ﴾ تقدس له ﴿السَّمٰوٰتُ السَّبْعُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ﴾ من المخلوقات إما بلسان الحال أو المقال أو بهما، ﴿وَاِنْ﴾ ما ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من المخلوقات ﴿اِلَّا﴾ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهٖ ﴿لَكُمْ﴾ لكمال صفاته، وتنزهه عن كل نقص وعيب، ﴿وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُوْنَ﴾ لا تفهمون ﴿تَسْبِيْحَهُمْ﴾ لأنها بخلاف لغتكم.

قال بعضهم: تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بلطيف تركيبها وعجيب هيئتها على خالقها، فيصير ذلك بمنزلة التسييح منها وقال بعضهم: تسيحهم على ظاهره لقوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ لَا تَفْقَهُونَ تَسْيِيحَهُمْ﴾، ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده فلا يعاجلهم بالعقوبة ﴿عَفُورًا﴾ متجاوز عن ذنوبهم.

﴿١٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقٍ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَيْكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾، قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿سورة الإسراء: ٩٣﴾.

﴿١٦﴾ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرِفٍ﴾ أي: من ذهب، وأصله الزينة، ﴿أَوْ تَرْقٍ﴾ تصعد، ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم أو غيره، ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ﴾ نصدق ﴿لِرُؤْيَيْكَ﴾ لصعودك، ﴿حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا﴾ من السماء ﴿نَّقْرُؤُهُ﴾ نؤمر فيه باتباعك، ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ على سبيل التعجب والتنزيه، ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾ وما سألتكم ليس في طوق البشر، واعلم أن الله تعالى قد أعطى النبي ﷺ من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله، فمنه القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها، لكنهم كانوا متعنتين.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَ وَحِيًّا أَوْ حَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» متفق عليه.

والعجب أن بعض الرافضة يحتج على نفي المعراج بهذه الآية، ولا حجة لهم فيها؛ فإن عروجه ﷺ كان بالليل وهو ثابت بالقرآن كما يأتي في سورة النجم، وبالسنة، أما هذه إنما طلبوا أن يرقى في السماء وهم ينظرون.



سُورَةُ مَرْيَمَ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [سورة مريم: ۱۱].﴾

﴿فَخَرَجَ﴾ زكريا، ﴿عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ مقدم المجلس، ومكان العبادة، ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ﴾ أوما إليهم، وأخبرهم بالإشارة، أو بأمر فهموه عنه: ﴿أَن سَبِّحُوا﴾ الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ ونزهوه وصلوا له، ﴿بُكْرَةً﴾ غدوة، ﴿وَعَشِيًّا﴾ في المساء، وهذا لشكر الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ على نعمته، ومزيد منته، فإذا وهبك الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ عطيةً، فأقبل على شكره ودعائه، وذكره يزدك خيراً.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِن وَّلَدٍ سُبْحٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ وُكُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة مريم: ۳۵].﴾



سُورَةُ طه

﴿٣٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٣٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٣٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٣٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٣٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٣٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٤٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٤١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٤٢﴾ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٤٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٤٤﴾﴾ [سُورَةُ طه: ٣٣].

﴿٣٥﴾ فعند ذلك دعا ربه؛ لأنَّ الداعي إلى الله يحتاج إلى أمور تؤهله للدعوة ومن أعظمها انشراح الصدر: ﴿قَالَ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وسع قلبي للحق حتى لا أخاف غيرك، وحتى يطمئن، والله عَزَّوَجَلَّ قد امتن على محمد ﷺ بانشراح الصدر، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وامتن على المؤمنين بذلك كما قال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ولأنشراح الصدر أسباب قدرية وشرعية، فمنها: التوحيد والكرم، والعلم، والشجاعة، وحسن العبادة، والتوكل، وملازمة الاستغفار، والذكر، والدعاء، واتباع هدي السلف الصالح، والتوبة، والتحلل من المظالم، وغير ذلك.

﴿٣٦﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ في تبليغ الدين كما قال النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا سَهْلَ إِلَّا مَا جَعَلْتَهُ سَهْلًا، وَأَنْتَ تَجْعَلُ الْحَزْنَ إِذَا شِئْتَ سَهْلًا» أخرجه ابن حبان في صحيحه " (٢٤٢٧) وابن السني (٣٥١) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿٣٧﴾ وَأَحْلِلْ﴾ واطلق ﴿عُقْدَةً مِن لِسَانِي﴾ وذلك لما ذُكِر: أن موسى كان في حجرة فرعون فلطم فرعون وأخذ بلحيته، فأراد فرعون أن يبطش به، فقيل: بأنه

ولد صغير لا يتصرف في شأنه فأعطي تمرّة وجمرة فأكل الجمرة، كما في حديث الفتون والله أعلم.

٢٨ ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ ودعوتي لهم.

٢٩ ﴿وَاجْعَلْ لِي﴾ صير لي، ﴿وَزَيْرًا﴾ معينًا وظهيرًا يكون له في شأنه، ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ هذه أعظم شفاعاة حيث شفع لأخيه أن يكون نبياً.

٣٠ ﴿هَرُونَ أَخِي﴾ وهو أكبر من موسى في السن، وموسى أفضل منه في الرسالة والنبوة.

٣١ ﴿أَشَدَّدَ﴾ قوي ﴿بِهِ أَزْرِي﴾ يعني: ظهري، كناية عن: قوي به أمري.

٣٢ ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: يكون رسولاً كما أن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول.

٣٣ ﴿كُنْ﴾ لكي ﴿نُصِّحَكَ﴾ نصلي لك ﴿كَثِيرًا﴾ تعاون على البر والتقوى.

٣٤ ﴿وَنَذْرُكَ كَثِيرًا﴾ نحمدك ونثني عليك بما أوليتنا من نعمك، ومهما أكثر

الإنسان ف: «الله أكثر»، كما قال النبي ﷺ.

٣٥ ﴿إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ خبيراً علينا بحالنا تبصرنا بعينين حقيقتين تليق

بجلال وجهك وعظيم سلطانك.

٢٤ ﴿قَالَ تَعَالَى﴾ ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ [سورة طه: ١٣٠].

١٣٠ ﴿فَأَصْبِرْ﴾ يا محمد، ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من السب والشتم والسخرية، وقيل:

نسختها آية القتال، والصحيح: أن الآية على إحكامها، فما زال رسول الله ﷺ يصبر على المخالفين من المنافقين وغيرهم حتى فارق الدنيا، ولا استقامة للحياة بدون صبر، والله الموفق. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ نزه ربك في صباحك ومساءلك، وقيل المراد: صلّ بأمر ربك: ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ صلاة الصبح،

﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ صلاة العصر، ﴿وَمِنْ ءَانَائِ الْيَلِّ﴾ ساعاتها، ﴿فَسَبِّحْ﴾ صلاة المغرب والعشاء، ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ صلاة الظهر والمغرب، على قول لأهل العلم ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ يُرْضِيكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بثوابه العظيم وبخيره العميم في دنياك وأحراك، أما في الدنيا فطمأنينة القلب وسلامة الصدر، وأما في الآخرة فالسلامة من العذاب الأليم والكرامة في جنة النعيم.

وفي حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الصحيحين قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
 «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبِّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيِيهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»، ثُمَّ قَرَأَ:
 ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].



سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ

﴿٢٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿١٨﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾ يُسَيِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٥﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

﴿١٩﴾ ﴿١٩﴾ وَلَهُ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ عَزَّجَلَّ، ﴿٢٥﴾ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ ﴿٢٥﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، ﴿٢٥﴾ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴿٢٥﴾ بَلْ يَلَازِمُونَهَا، وَلَا يَأْنِفُونَ عَنْهَا، ﴿٢٥﴾ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَتَعَبُونَ وَلَا يَعْيُونَ، فَهَمَّ فِي عِبَادَةِ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ وَسِرَّهُمْ وَجَهَارِهِمْ وَفِي جَمِيعِ شَأْنِهِمْ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: ﴿٢٥﴾ لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا ﴿١٧٢﴾ [النساء: ١٧٢].

﴿٢٥﴾ ﴿٢٥﴾ يُسَيِّحُونَ ﴿٢٥﴾ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ، وَيَصْلُونَ، ﴿٢٥﴾ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٥﴾ لَا يَتَعَبُونَ، قَدْ أَلْهِمُوا التَّسْبِيحَ كَمَا أَلْهِمْنَا النَّفْسَ.

﴿٢٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٥﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٤﴾ [سورة الأنبياء: ٢٤].

﴿٢٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٥﴾ [سورة الأنبياء: ٢٦].

﴿٢٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿٢٥﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ [سورة الأنبياء: ٧٩].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة

الأنبياء: ٨٧].



سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

﴿٩١﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ٩١].

﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ كما يزعم الكفار فقد قالت الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا أَخَذَ صَدِيقَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]، وقال تعالى: ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ ﴿٩١﴾ وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩١-٩٢]، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَالِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، فدعوى الولد لله **عَزَّوَجَلَّ** من أعظم السب، فعن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال النبي **ﷺ**: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَيَّ أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ **عَزَّوَجَلَّ**، يُشْرِكُ بِهِ وَيُجْعَلُ لَهُ وَلَدًا ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» متفق عليه

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ﴾ مع الله **عَزَّوَجَلَّ** ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾ من شريك، ولو قدر وجود الشريك ﴿إِذَا لَذَهَبَ﴾ تفرد ﴿كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ بخلقه، ولم يرخص أن يضاف إلى غيره، ﴿وَلَعَلَّا﴾ ارتفع وانتصر ﴿بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ والعالى المنتصر هو الإله الحق، فإن عجزوا جميعاً فليسوا بالهة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من الصفات السيئة المتضمنة للنقص والعيب.

قال ابن القيم في الصواعق المرسله (٢/ ٤٦٣-٤٦٤): "فتأمل هذا البرهان الباهر بهذا اللفظ الوجيز البين فإن الإله الحق لا بد أن يكون خالقاً فاعلاً يوصل إلى عابده النفع ويدفع عنه الضر فلو كان معه سبحانه إله لكان له خلق وفعل وحينئذ فلا يرضى بشركة الإله الآخر معه بل إن قدر على قهره وتفردته بالإلهية

دونه فعل وإن لم يقدر على ذلك انفراد بخلقه وذهب به كما ينفرد ملوك الدنيا عن بعضهم بعضا بممالكهم، إذا لم يقدر المنفرد على قهر الآخر والعلو عليه، فلا بد من أحد أمور ثلاثة:

- إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه.

- وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

- وإما أن يكون كلهم تحت قهر إله واحد وملك واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع من حكمهم عليه ولا يمتنعون من حكمه عليهم فيكون وحده هو الإله الحق وهم العبيد المربوبون المقهورون.

وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أدل دليل على أن مدبره واحد لا إله غيره كما دل دليل التمانع على أن خالقه واحد لا رب له غيره فذاك تمنع في الفعل والإيجاد وهذا تمنع في العبادة والإلهية فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان متكافئان يستحيل أن يكون له إلهان معبودان". اهـ



سُورَةُ النُّورِ

﴿٢٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٦].

﴿وَلَوْلَا﴾ هلا، ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ هذا القذف والقول السيء، ﴿قُلْتُمْ﴾ بلسان حالكم ومقالكم، ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ القول القبيح المستعبد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ على التعجب والتنزيه، ﴿هَذَا﴾ القول: ﴿بُهْتَنٌ﴾ كذبٌ بينٌ وظاهر، ﴿عَظِيمٌ﴾ إذ أنه قام على غير دليلٍ وغير قرينة، وإنما هي الظنون الفاسقة الفاسدة.

﴿٢٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْأَصْوَالِ وَالْأَصْوَالِ﴾ [سورة النور: ٣٦].

﴿فِي بُيُوتٍ﴾ وهي المساجد، ﴿أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ في بنائها كما أذن أن تُرفع بالعبادة فيها، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ من تسيحه، وتحميده، وتكبيره، وقراءة القرآن، ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا﴾ أي: يُصلي المؤمنون فيها، ﴿بِالْأَصْوَالِ﴾ وهو الصباح، ﴿وَالْأَصْوَالِ﴾ وهو العشي.

قَالَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ: أَرَادَ بِهِ الصَّلَوَاتُ الْمَفْرُوضَاتُ، فَالَّتِي تُوَدَى بِالْغَدَاةِ صَلَاةُ الصُّبْحِ، وَالَّتِي تُوَدَى بِالْأَصْوَالِ صَلَاةُ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ وَالْعِشَاءِ؛ لِأَنَّ اسْمَ الْأَصِيلِ يَجْمَعُهَا، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وَالْبَرْدَانِ هُمَا: الْعَصْرُ وَالْفَجْرُ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [سورة النور: ٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد، وهو خطابٌ لأُمَّته، ﴿أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ﴾ يُصَلِّي، ﴿لَهُ﴾ وَيُنْزِهِ، ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ﴿وَالطَّيْرِ﴾ مَعَ ذَلِكَ، ﴿صَفَّاتٍ﴾ بِاسْطَاتٍ أَجْنَحْتَهَا فِي السَّمَاءِ تُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ** عَنْ دَاوُدَ: ﴿يَجِبَالُ أُوبَى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّارُ لَهُ الْحَدِيدُ﴾ [سبأ: ١٠]، ﴿كُلُّ﴾ مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ، ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ وَالتَّسْبِيْحُ قَدْ يَكُونُ بِلِسَانِ الْحَالِ أَوْ بِلِسَانِ الْمَقَالِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فَيُجَازِي الْمُكَلَّفَ الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.



سُورَةُ الْفُرْقَانِ

﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعِآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾
[سورة الفرقان: ۱۸].

﴿قَالُوا﴾ فقالت تلك المعبودات لاسيما من الملائكة والصالحين وغيرهم: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ نُزِّهْكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ شَرِيكٌ فِي مَلِكِكَ، أَوْ فِي عِبَادَتِكَ، أَوْ فِي مَا هُوَ مِنْ شَأْنِكَ، ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي﴾ لا يجوز، ﴿لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ نصراء نعبدهم ونرجوهم ونتقرب إليهم؛ ﴿وَلَكِنْ﴾ السبب الذي بسببه ضلوا أنك، ﴿مَتَّعْتَهُمْ وَعِآبَاءَهُمْ﴾ وأنعمت عليهم بالنعم الكثيرة، ﴿حَتَّى﴾ طال عليهم العمر، وحتى، ﴿نَسُوا﴾ تركوا ﴿الذِّكْرَ﴾ الذي أوحيته إليهم وجليته لهم، ﴿وَكَانُوا﴾ في شأنهم، ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ هلكى، غلب عليهم الشقاء والخذلان، وقد قال عبد الله بن مسعود: الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه.

﴿قَالَ تَعَالَى﴾: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ۵۸].

﴿وَتَوَكَّلْ﴾ يا محمد، ومن معك من المؤمنين، ﴿عَلَى الْحَيِّ﴾ وهو الله، ومن شأنه، ﴿الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾؛ لكمال حياته وقيوميته.

❖ وتُسمى هذه الصفات عند أهل العلم بالصفات السلبية، والشرط فيها أن تتضمن كمال الضد، فالذي لا يموت هو كامل الحياة والقيومية.

❖ ﴿وَسَبِّحْ﴾ نزه، ﴿بِحَمْدِهِ﴾ بشكره والثناء عليه، نزهه عن النقائص، ﴿وَكَفَىٰ بِهِ﴾ بالله عزَّوجلَّ، ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا﴾ عليمًا ومطلعًا لا تخفى عليه خافية، فيُجازي المُحسن بإحسانه والمسيء بإساءته، ومع ذلك لكمالِ عدله جعل ملائكةً يكتبون أعمالهم، ويوم القيامة تشهد عليهم جوارحهم.



سُورَةُ النَّملِ

﴿۳۴﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة النمل: ۸].

﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ أتى زوجته بالنار، ﴿نُودِيَ﴾ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من ربه تعالى: ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ إخبار بالبركة، وهي وضع الخير الإلهي في الشيء، ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ من طلب النار ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من الملائكة وموسى وغير ذلك، ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيه الله، ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وكل من سوى الله عالم.



سُورَةُ الْقَصَصِ

﴿٣٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة القصص: ٦٨].

﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أن يخلقه ويوجده، ﴿وَيَخْتَارُ﴾ يصطفي كما قال **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَعَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَعَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فالله **عَزَّوَجَلَّ** يصطفي، ويخزل من شاء من عباده: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وهو في هذا لم يظلم أحداً: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فمن اختاره واصطفاه واجتباها فلفضله العظيم، ومن خذله وأقصاه فلعدله العظيم: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين، ﴿الْخِيَرَةُ﴾ أن يختاروا لأنفسهم الأصلح، وفي هذا رد على المعتزلة الذين يقولون: يجب على الله فعل الأصلح للعبد، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيهه، ﴿وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يُنددون.



سُورَةُ الرُّومِ

﴿۳۴﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ [سورة الروم: ۱۷].

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ سبحوا وصلوا لله **عَزَّوَجَلَّ**، ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ تدخلون في المساء، وهو المغرب والعشاء، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الفجر، حين تدخلون في الصباح.

﴿۳۵﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الروم: ۴۰].

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ من العدم، ﴿ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أعطاكم ومنحكم، ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾ بعد استيفاء آجالكم، ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾؛ يبعثكم بعد موتكم، ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ من الأصنام والأوثان، ﴿مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَ مِمَّنْ شَيْءٍ﴾؟ الجواب: لا؛ لعجزهم وضعفهم وخورهم، ﴿سُبْحَانَهُ﴾: تنزيهه لله **عَزَّوَجَلَّ** عن الشريك والمثيل والنظير، ﴿وَتَعَالَى﴾ تعاضم، ودلت على علو القدر والقهر والذات، ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يُنددون.



سُورَةُ السَّجْدَةِ

﴿٣٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ [سورة السجدة: ١٥].

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ ويقر بها، ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا﴾ وعضوا، ﴿بِهَا﴾ وقرئت عليهم وعلموها، ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ يُصلون لله **عَزَّوَجَلَّ** ويُعظمونه، ونزهوه عن كل نقص وعيب، ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته والإيمان به.



سُورَةُ الْأَحْزَابِ

﴿٣٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَيِّئُهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٤١-٤٢].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ بطاعته ولزوم مرضاته، ويدخل في ذلك ذكر اللسان، كما قال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقال الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَأذْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣].

﴿وَسَيِّئُهُ﴾ نزهوه، وقيل: صلوا له، ﴿بُكْرَةً﴾ صلاة الصبح، ﴿وَأَصِيلًا﴾ صلاة العصر، وقد يدخل فيها صلاة الظهر، وقيل: صلاة الظهر والعشاءين. فهذه الآية استدلَّ بها على الأوقات الخمسة؛ فما بعد الظهر إلى الليل يُسمى أصيلاً.



سُورَةُ سَبَأٍ

﴿٣٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنِّي كَأَنُوعٌ يَعْجُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سورة سبأ: ٤٠-٤١].

﴿و﴾ اذكر يا محمد: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم: ﴿جَمِيعًا﴾ الإنس والجن، ﴿ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لِي إِنِّي كَأَنُوعٌ يَعْجُدُونَ﴾ لأن الكفار زعموا: أنهم عبدوا الملائكة وتقربوا إليها.

﴿قَالُوا﴾ الملائكة ﴿سُبْحَانَكَ﴾ ننزهك أن يكون لك شريك في ملكك، بل ﴿أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ نحن نتولاك ولا نتولاهم، ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ الشياطين، ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ يعني: مصدقون للشياطين الجن.



سُورَةُ يَس

﴿۳۹﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿۳۵﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يس: ۳۶].

وكل هذا ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ قوتنا وفواكه مما يخرج من هذه الأشجار، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ ما صنعته أيديهم من مأكولات أو نحو ذلك، وقيل هذا على النفي أي: ليأكلوا من ثمر هذه الأشجار، ولم تعمله أيديهم، وإنما هو صنع الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾، وهو اختيار ابن جرير ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمة الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾ عليهم، ومن شكر الله ﴿عَزَّوَجَلَّ﴾: فعل المأمور وترك المحذور.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف، ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ هذا مز، وهذا حلو، وهذا حامض، وهذا مر، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ هذا صالح وهذا طالح، وهذا بر وهذا فاجر، وهذا ذكر وهذا أنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المخلوقات.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾﴾ [سورة يس: ۸۳].



سُورَةُ الصَّافَاتِ

﴿١٤٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلِئْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة الصافات: ١٤٣-١٤٤].

﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ الذَّاكِرِينَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ قَبْلَ الْإِلْقَاءِ وَبَعْدَهُ، فَالْعِبَادَةُ سَبَبٌ لِّصَرْفِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ عَنِ الْإِنْسَانِ، وَكَانَ تَسْبِيْحُهُ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ﴿لَلِئْتِ﴾ بَقِيَ ﴿فِي بَطْنِهِ﴾ حَيْثُ يَصِيرُ لَهُ قَبْرًا، ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿١٥٩﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [سورة الصافات: ١٥٨-١٥٩].

﴿و﴾ وَمِنْ عَجِيبِ فَسَادِهِمْ أَنَّهُمْ: ﴿جَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسْبًا﴾ حَيْثُ زَعَمُوا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ وَأَمَهَاتُهُنَّ سُرُورَاتُ الْجَنِّ، وَهَذَا قَوْلٌ قَبِيْحٌ يَسْتَحِي الْإِنْسَانَ أَنْ يَذْكُرَهُ فِي حَقِّ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ قَوْلِهِمْ عُلُوءًا كَبِيرًا: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]، ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ﴾ عِلْمَ الْجَنِّ: ﴿إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ** فَيَجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تَنْزِيهِ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ عَمَّا يَصِفُهُ بِهِ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ الْمُنَدِّدُونَ، فَهَذَا أَقْبَحُ السَّبِّ: أَنْ يُجْعَلَ لِلَّهِ **عَزَّجَلَّ** الْوَلَدُ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**: ﴿لَا أَحَدَ أَضْبِرُ عَلَيَّ أَدَى يَسْمَعُهُ مِنْ اللَّهِ **عَزَّجَلَّ**، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ﴾ متفق عليه،

وإنما يحتاج إلى الولد المخلوق الذي يضعف، ويموت ويحتاج إلى الصاحبة من يحتاج إلى من يقوم بشأنه، والله **عَزَّجَلَّ** الغني الحميد.

﴿٤٧﴾ **قَالَ تَعَالَى:** ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [سورة الصافات: ١٦٦].

وقال الملائكة مبينة أنهم عبيد لله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَمَا مِنَّا أَحَدٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ، إِلَّا لَهُ مَقَامٌ﴾ مكان عند الله **عَزَّجَلَّ** يعبدونه، ويرجونه، ويتوسلون إليه: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]، ﴿مَّعْلُومٌ﴾ لا يتعداه إلى غيره، كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾ أي: الملائكة، ﴿الصَّافُونَ﴾ للصلاة لله **عَزَّجَلَّ**، وفي حديث جابر بن سمرة، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى وَيَتَرَاصُونَ فِي الصَّفِّ» أخرجه مسلم (٤٣٠)، وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ أَيُّ الْكَلَامِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «مَا اصْطَفَى اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» أخرجه مسلم (٢٧٣١).

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزهون لله **عَزَّجَلَّ** مما يقوله الكافرون والمبطلون.

﴿٤٢﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٣﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٤﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٥﴾﴾ [سورة الصافات: ١٨٠-١٨٢].

ولما ذكر الله عزَّجَلَّ أقوال المخالفين بزعمهم أن لله عزَّجَلَّ البنات، أو خلق الملائكة بنات، أو أنه بينه وبين الجنة نسباً قال: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ نزه نفسه المقدسة، ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ أي: صاحب العزة.

﴿ وهذا دليل على أن كل اسم يتضمن صفة، فالعزيز هو صاحب العزة، كما أن القوي صاحب القوة ﴾ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يصفه به المبطلون من التمثيل أو التعطيل.

﴿ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴾ لسلامة قولهم؛ ولحسن اعتقادهم وفعالهم.
﴿ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الموصوف بالكمال المقدس أزلاً وأبداً، فيُحمد على فضله، وعدله، وكل كماله وجلاله وجميل خصاله، ويُحمد على كل حال. وعن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» متفق عليه.



سُورَةُ ص

﴿۱﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿۷﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿۱۸﴾﴾ [سورة ص: ۱۸].

﴿أَصْبِرْ﴾ يا محمد ومن معك، ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ من السب والشتيم والإعراض، ﴿وَادْكُرْ﴾ لمزيد تصبير لك ولقومك، ﴿عَبْدَنَا دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ﴾، وهو من أنبياء بني إسرائيل ومن أشهرهم وأشدهم، ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ القوة، ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجاع إلى الله عزَّوجلَّ.

ومن عجيب شأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا﴾ ذلنا ﴿الْجِبَالَ مَعَهُ﴾ الجبال الشامخة الصلدة الصماء، ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ الله وينزهنه ﴿بِالْعِشِيِّ﴾ في المساء، ﴿وَالْإِشْرَاقِ﴾ في الصباح؛ إذ كان حسن الصوت، بالقراءة، ففي حديث أبي موسى، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مِزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ» متفق عليه.



سُورَةُ الزُّمْرِ

﴿٤٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [سورة الزمر: ٤].

﴿لَوْ أَرَادَ﴾ شاء ﴿الله﴾ يا محمد، ﴿أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما يقول الكافرون، ﴿لَأَصْطَفَى﴾ اختار ﴿مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ وهذا من باب الرد عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۗ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۗ﴾ ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَّقَطْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۗ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۗ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۗ﴾ ﴿٩٢﴾ ﴿[مریم: ٨٨-٩٢]، وهذا كقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]، مع أنه يُتَمَنَعُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ فَهُوَ الْغَنِيُّ الْأَوَّلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

﴿سُبْحَانَهُ﴾ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ أَوْ تَكُونَ لَهُ صَاحِبُهُ، وَمَنْ أَعْظَمَ السَّبِّ لِلَّهِ، أَنْ يَدْعَى لَهُ الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ فَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَدَىٰ يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ﴾ متفق عليه، ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ الْفَرْدُ الَّذِي لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا مِثْلَ، ﴿الْقَهَّارُ﴾ لِعِبَادِهِ قَهْرَهُمْ بِحُكْمِهِ الْقَدْرِيِّ الْكُونِيِّ.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾﴾ [سورة الزمر: ٦٧].

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٥].

سُورَةُ غَافِرٍ

﴿٤٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: ٧].

ثم ذكر الله **عَزَّجَلَّ** من لطفه بعباده المؤمنين أن سخر لهم من يستغفرون لهم وهم: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ العرش السريـر.

﴿ وهو سقف المخلوقات، وأكبرها، وأولها على الصحيح استوى عليه الله **عَزَّجَلَّ**، كما قال: ﴿الَّذِينَ عَلَى الْعَرْشِ أُسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وذكر أهل العلم: أن حملته أربعة ويستدلون ببيت أمية بن أبي الصلت، وقد سمعه النبي **ﷺ** وأقره: رَجُلٌ وَثُورٌ تَحْتَ رِجْلِ يَمِينِهِ وَالنَّسْرُ لِلْأُخْرَى وَكَيْتٌ مُرْصَدٌ وذهب بعضهم: إلى أنهم ثمانية ويستدلون بحديث العباس المسمى بحديث الأوعال؛ وهو حديث ضعيف من طريق عبد الله بن عميرة الكوفي مجهول، ولبعضه شواهد.

ولفظه: قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: كُنْتُ فِي الْبَطْحَاءِ فِي عِصَابَةٍ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ **ﷺ**، فَمَرَّتْ بِهِمْ سَحَابَةٌ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «مَا تُسْمُونَ هَذِهِ؟» قَالُوا: السَّحَابَ، قَالَ: «وَالْمُزْنَ» قَالُوا: وَالْمُزْنَ، قَالَ: «وَالْعَنَانَ» قَالُوا: وَالْعَنَانَ " قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «لَمْ أَتَقِنِ الْعَنَانَ جَيِّدًا» قَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالُوا: لَا نَدْرِي، قَالَ: «إِنَّ بَعْدَ مَا بَيْنَهُمَا إِمَّا وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَانِ أَوْ ثَلَاثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، ثُمَّ السَّمَاءُ فَوْقَهَا كَذَلِكَ» حَتَّى عَدَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ «ثُمَّ فَوْقَ السَّابِعَةِ

بَحْرٍ بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ فَوْقَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةٌ أَوْ عَالٍ بَيْنَ أَظْلَافِهِمْ وَرُكْبِهِمْ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ عَلَى ظُهُورِهِمُ الْعَرْشُ مَا بَيْنَ أَسْفَلِهِ وَأَعْلَاهُ مِثْلُ مَا بَيْنَ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ، ثُمَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَوْقَ ذَلِكَ»
أخرجه أبو داود.

وأما يوم القيامة: فهم ثمانية بنص القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٧]، وهم ملائكة عظام شداد يحملون العرش العظيم الكبير الذي ما الكرسي فيه إلا كحلقة في فلاة، وما السماوات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة، والله عزَّ وجلَّ فوق ذلك، وفي حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ دِيكَ قَدْ مَرَقَتْ رِجْلَاهُ الْأَرْضَ، وَعُنُقُهُ مُنْتَنٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَكَ رَبَّنَا، فَرَدَّ عَلَيْهِ: لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مَنْ حَلَفَ بِي كَاذِبًا» أخرجه أبو داود.

﴿وَمَنْ حَوَّلَهُ﴾ من الملائكة الكروبيين الطائعون لله، ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ينزهونه ويقدمونه، ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ يقرون له بالتوحيد، وقد جعلهم الله على ذلك: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، ﴿و﴾ من شأنهم أنهم ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يطلبون المغفرة والرحمة والتجاوز والعفو والصفح: ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾، وهذا من كرم الله عزَّ وجلَّ، وقد أمر الله النبي ﷺ أن يستغفر للمؤمنين فقال: ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لِدُنْيِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وفي حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَيَّ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحَدِّثْ، وَأَحَدِكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَتْ الصَّلَاةُ تَحْسِبُهُ» متفق عليه.

يقولون: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾ يتوسلون إلى الله برحمته الواسعة،
﴿وَعِلْمًا﴾ بكل شيء لا تخفى عليه خافية، ﴿فَاغْفِرْ﴾ تجاوز ﴿لِلَّذِينَ تَابُوا﴾
رجعوا وأنابوا، ﴿وَاتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ طريقك، ﴿وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ النار.
﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ
رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَرِ﴾ [سورة غافر: ٥٥].



سُورَةُ فَصَّلَتْ

﴿٤٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة فصلت: ٣٨].

﴿فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا، عن عبادة الله **عَزَّوَجَلَّ**: ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الملائكة، لا يفترون عن عبادته بل، ﴿يُسَبِّحُونَ لَهُ﴾ ينزهونه ويصلون له، ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ لا يتعبون ولا يفترون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأعراف: ٣٦] ، ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿٣٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].



سُورَةُ الشُّورَى

﴿٤٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٢﴾ [سورة الشورى: ٤-٥].

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وتصرفًا نهيًا وأمرًا، ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ بذاته على عرشه، كما قال: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، كما أنه العلي في صفاته، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿الْعَظِيمُ﴾ الواسع الكبير في ذاته وصفاته.

﴿تَكَادُ﴾ تقرب: ﴿السَّمَوَاتُ﴾ الطباق الشديدة، ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾ يتشققن، ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ خشيةً لله، وتعظيمًا لشأنه، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ الكرام، ﴿يُسَبِّحُونَ﴾ ينزهون، ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ ويحمدونه، فيجمعون بين التسيح فالتحميد، والتسيح تنزيه عن صفات النقص والعيب، والتحميد إثبات لصفات الكمال، ﴿وَ﴾ هم مع ذلك، ﴿يَسْتَغْفِرُونَ﴾ يطلبون المغفرة، ﴿لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من المؤمنين، ﴿إِلَّا إِنْ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ المتجاوز، ﴿الرَّحِيمُ﴾ المسدد والموفق لعباده المؤمنين.

سُورَةُ الزُّخْرَفِ

﴿١٩﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٩﴾ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الزخرف: ١٣-١٤].

﴿١٩﴾ من شأنه تعالى أنه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ المثلاء والنظراء من كل صنف، ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ﴾ السفن، ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ الإبل والخيول، ﴿مَا تَرْكَبُونَ﴾ وهذا من عظيم منة الله **عَزَّجَلَّ** على الإنسان؛ لأنه إذا مشى في حاجته ضعف وتعب وعجز عن الحمل فسخر الله ما سخر، كما قال تعالى: ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨].

﴿لِتَسْتَوُوا﴾ تعلقوا، ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ ظهور الأنعام وغيره من المركوب ﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا﴾ تشكروا، ﴿نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ نعم ربكم عليكم، ومنها: ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على الدابة أو المركوب، ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي﴾ منزهين مثنين عليه ﴿الَّذِي سَخَّرَ﴾ هيء من فضله ﴿لَنَا هَذَا﴾ المركوب، ﴿وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ مطيقين، وهذا من نعمة الله **عَزَّجَلَّ** على العبد: أن يكون ذاكرًا له في حال ركوبه وفي جميع شأنه.

وقد جاء من حديث علي بن أبي طالب **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**: أن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** كان إذا وضع رجله في السرج قال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ، فَلَمَّا اسْتَوَى عَلَيْهَا قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، سُبْحَانَ الَّذِي

سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ ثَلَاثًا» أخرجه أبو داود.

﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا﴾ يوم القيامة ﴿لَمُنْقَلِبُونَ﴾، راجعون، فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

﴿قَالَ تَعَالَىٰ﴾ ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٨١-٨٢].

﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ وقرأ ابن عباس: (مَا كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ)، ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِينَ﴾ الشاهدين بذلك أن ليس له ولد، وقيل: وأنا أول العابدين لله، وقيل المعنى: أن النبي ﷺ من أشد الناس انقيادًا لله عز وجل، فلو كان للرحمن ولد وهو جزء منه فسيعبده ولا يستنكف عن عبادته، لكن ليس لله ولد، وهو منزه عن الصاحبة والولد، كما قال تعالى: ﴿مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ [المؤمنون: ٩١].

﴿سُبْحَانَ﴾ تنزيهه، ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الواسعات، ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْكَبِيرِ﴾ ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ويزعمون أن له ولد وصاحبة وشريك.



سُورَةُ الْفَتْحِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [سُورَةُ الْفَتْحِ: ٨-٩].

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ بعثناك يا محمد: ﴿شَهِيدًا﴾ على هذه الأمة يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم بالخير العظيم وهو الجنة، ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا لهم من عذاب النار ومن غضب الجبار سبحانه وتعالى.

وهذا؛ ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ فتتقادون لشرع الله مع إقراركم بالإيمان به، وبرسوله ﷺ، ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: النبي ﷺ تنصرونه وتؤيدونه، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ تعظمونه أي: النبي ﷺ، ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ أي: تصلوا لله عز وجل، ﴿بُكْرَةً﴾ في الغدوة، صلاة الفجر ﴿وَأَصِيلًا﴾ في المساء، الظهر والعصر والمغرب والعشاء.



سُورَةُ ق

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَرَ السُّجُودِ ﴿٣٧﴾﴾ [سورة ق: ٣٩-٤٠].

﴿قَالَ تَعَالَى﴾ يا محمد، ﴿عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ ويفعلون من سب وشتم وأذى من أنك ساحر أو شاعر أو مجنون، ﴿وَسَبِّحْ﴾ صلِّ ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ ونزه عن كل نقیصة وعیب واثبت له جمیع المحامد والکمالات، ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ الفجر، ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ الظهر والعصر، وجاء عن النبي ﷺ حديث أبي هريرة: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ: مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْعَصْرِ وَصَلَاةِ الْفَجْرِ، ثُمَّ يَخْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ» متفق عليه.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ صلاة العشاء والمغرب، ﴿فَسَبِّحْهُ﴾ صلِّ ونزهه: ﴿وَأَدْبَرَ السُّجُودِ﴾ النوافل بعد الصلوات، وقيل هما الركعتان بعد المغرب، وفي ذلك: ما أخرج مسلم (٧٣٠): عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكَعَتَيْنِ».

وَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّيَ لِلَّهِ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا، غَيْرَ فَرِيضَةٍ، إِلَّا بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، أَوْ إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ» قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: "فَمَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ" وَقَالَ عَمْرُو: "مَا بَرِحْتُ أُصَلِّيهِنَّ بَعْدُ"، وَقَالَ النُّعْمَانُ مِثْلَ ذَلِكَ.



سُورَةُ الطُّورِ

﴿٥٣﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة الطور: ٤٣].

﴿٥٣﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ ﴿﴾ وهذا إنكار شديد عليهم في عبادتهم الأصنام والأوثان فإن الله لا يرضى أن يكون معه شريك، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ينزه الله عن مشاركتهم له، فهذا غاية الإجمام والعصيان، ساووا الحجارة الصماء البكماء العاجزة برب العالمين، كما قال تعالى: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسْوَيْكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

﴿٥٤﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٩﴾ [سورة الطور: ٤٨].

﴿٤٨﴾ وَأَصْبِرْ ﴿﴾ يا محمد، ﴿لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ لقضائه وقدره، ﴿فَأِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أي: نرى ما تصنع وما يصنع بك.

﴿٤٩﴾ مع أن الله عزَّوجلَّ على عرشه استوى.

﴿٤٩﴾ وفيه: إثبات صفة العينين لله وهما عينان حقيقيتان تليق بجلاله يبصر بهما، كما قال الله عزَّوجلَّ: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾ [النساء: ٣٤]، وقال عزَّوجلَّ: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ [طه: ٤٦].

﴿٤٩﴾ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴿﴾ نزه ربك وصللي له: ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من النوم، وهي صلاة الفجر، ويدخل فيه ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ

عَشْرًا، وَحَمْدَ عَشْرًا» وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَشْرًا» وَقَالَ: «سُبْحَانَ الْمَلِكِ
الْقُدُّوسِ عَشْرًا، وَاسْتَغْفَرَ عَشْرًا، وَهَلَّلَ عَشْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ
ضَيْقِ الدُّنْيَا، وَضَيْقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَشْرًا» ثُمَّ يَفْتَحُ الصَّلَاةَ.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ صلاة المغرب والعشاء وقيام الليل، ﴿وَإِذْبَرْتَ النُّجُومَ﴾

قيل: هما ركعتا الفجر كما هو قول غير واحد من السلف.



سُورَةُ الْوَاقِعَةِ

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة الواقعة: ٧٤].

﴿٧٤﴾ ﴿فَسَبِّحْ﴾ يا محمد وهو أمر للأمة، ﴿بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ على هذه النعم العظيمة والمنن الجزيلة الدالة على عظيم قدرته وعلى تنزهه عن جميع النقائص والعيوب، وفي حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مِنَ الْكَلَامِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عِشْرِينَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ عِشْرِينَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً.»، أخرجه أحمد.

﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾

[سورة الواقعة: ٩٥-٩٦].

﴿٩٥﴾ ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الخبر الذي تقدم ذكره ﴿لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ هو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك.

﴿٩٦﴾ ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ نزه ربك عن كل نقص.



سُورَةُ الْحَدِيدِ

﴿٥٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة

الحديد: ١].

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾ أي: نزه الله عَزَّجَلَّ عن النقائص والعيوب وأثبت له جميع المحامد بلسان الحال والمقال أو بأحدهما، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ أي: الذين في السموات من الملائكة، ﴿وَالْأَرْضِ﴾ من جميع المخلوقين، وقد يكون هذا التسبيح بلسان الحال، وهذا كقوله: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب، وقد خضع له كل شيء، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وأمره فأفعال على مقتضى علمه وحكمته.



سُورَةُ الْحَشْرِ

﴿١﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

﴿سورة الحشر: ١﴾.

﴿١﴾ ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ يسبح الله **عَزَّجَلَّ** نفسه المقدسة والتسييح التنزيه والتقديس، فالمسبح: هو المنزه عن كل نقيصة وعيب، وقد سبح له سبحانه: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ واختلف العلماء في نوع هذا التسييح فقال بعضهم: بلسان الحال، وقال بعضهم: بلسان المقال لقول الله **عَزَّجَلَّ**: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ومعنى الآية: أن الله ينزهه الذين في السموات والأرض، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلب ولا يقهر؛ لكمال عظمته وعزته، ﴿الْحَكِيمُ﴾ الذي أحكم كل شيء قولاً وفعلاً.

﴿٢﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ

الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ

﴿سورة الحشر: ٢٣﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كررها لبان عظيم تفرد به بألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ﴿الْمَلِكُ﴾ الذي له الملك المطلق فالسموات ملكه والأراضي ملكه وكل ما فيهما ملكه، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿١﴾ [الملك: ١]، ﴿الْقُدُّوسُ﴾ المنزه عن النقائص والعيوب فيثبت له

كل كمال مقدس، ﴿السَّلَامُ﴾ السالم من النقائص والعيوب، وداره دار السلام، ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق من المؤمنين والصادق في قوله كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿٨٧﴾ [النساء: ٨٧].

﴿الْمُهَيِّمِينَ﴾ المتسلط على عباده القاهر لهم بقوته وقدرته وقهره لا يخرج عنه شيء من المخلوقات، ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع القوي الذي لا يعجزه شيء، وعز عن كل شيء فقهره، ﴿الْجَبَّارُ﴾ ذو الجبروت والقوة والقهر، الذي لا تليق هذه الصفات إلا به، والذي يجبر حاجاتهم وييسر أمورهم، وقيل الشاهد على خلقه بأعمالهم، كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿٦﴾ [البروج: ٩]، وقال: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [يونس: ٤٦].

﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ المتعالي لعظمته وأحقيته بذلك فهو بالصفات العلية والأسماء الحسنی الجلیة؛ ولهذا قال: ﴿الْعِزُّ إِزَارِي، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، فَمَنْ نَارَعَنِي بِشَيْءٍ مِنْهُمَا عَذَّبْتُهُ﴾ أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن أبي سعيد وأبي هريرة، بينما المخلوق لا يجوز له أن يتكبر، فصفة الكبر في حق الله كمال وفي حق المخلوق نقص؛ لأنه عاجز ضعيف، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿١﴾ تنزيه الله عَزَّوَجَلَّ عن كل ما يقوله أهل الشرك والعناد والكفر والبغي والجحود من ادعاء الصاحبة والولد والشريك والنظير والمثيل.

﴿قَالَ تَعَالَى:﴾ ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ الْبَارِيَّ الْمُصَوِّرَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿١﴾ [سورة الحشر: ٢٤].



سُورَةُ الصَّفِّ

﴿٦٠﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

﴿١﴾ [سورة الصف: ١].

﴿سَبِّحْ لِلَّهِ﴾ نَزَّ اللهُ سبحانه وتعالى وَقَدَّسه عن كل ما لا يليق به ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الذي لا يغلبه أحد، ﴿الْحَكِيمُ﴾ في خلقه وقدره وشرعه.

وأما حكمة إتيان "التسييح" في بعض الفواتح ماضياً، وفي البعض الآخر مضارعاً، للإيدان بتحقيقه في جميع الأوقات، وفيه تنبيه على أن حَقَّ مَنْ شأنه التسييح الاختياري أن يسبحه تعالى في جميع أوقاته كما عليه الملائة الأعلى؛ حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

سورة الصف من المسبحات:

- ومنها ما بُدئ بالمضارع.
- ومنها ما بدئ بالماضي.
- ومن تأمل الفرق بينهما يجد أن ما بُدئ بالمضارع كالجمعة والتغابن هي سور إيمانية وعظيمة يناسبها المضارع لأن الإيمان يتجدد شيئاً فشيئاً ..
- بينما الثلاث التي بدأت بالماضي (سبح) هي ثلاث الحديد الحشر والصف وكلها سور، قوة سور قتال.

وما جاء فيها يحتاج إلى مجاهدة بليغة جداً.

- فإذا استقر التوحيد واستقر التسيح واستقرت عظمة الله في قلب المؤمن،

فعدئذ يبدأ بما تضمنته هذه السور الثلاث ومنها سورة الصف.



سُورَةُ الْجُمُعَةِ

﴿٦١﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة الجمعة: ١].

﴿٦١﴾ يُسَبِّحُ لِلَّهِ التَّسْبِيحُ: التنزيه والتقديس، ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ من المخلوقات وهم الملائكة، ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من جميع الكائنات، كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿الْمَلِكِ﴾ الذي: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿الْقُدُّوسِ﴾ المنزه من كل عيب ونقص، ﴿الْعَزِيزِ﴾ القوي الذي لا يغلب، والقاهر الذي لا يعجز، ﴿الْحَكِيمِ﴾ الذي يكون في ملكه ما هو على مقتضى حكمته وعلمه.



سُورَةُ التَّغَابِنِ

﴿٦٠﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة التغابن: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يخبر الله **عَزَّجَلَّ** عن تسبيح المخلوقات له منزهة له عن النقائص مثنية عليه على المحامد، فهو الموصوف **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** بكل كمال، والمنزه عن النقص في كل حال كما قال ذو الجلال: **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴿١١﴾ [الشورى: ١١]، **فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٧٤﴾ [النحل: ٧٤]، **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴿٤﴾ [الإخلاص: ٤]، فهو المتصف بكل كمال في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، **لَهُ الْمُلْكُ** المطلق في السموات والأرض وما فيهما وما بينهما، **وَلَهُ الْحَمْدُ** المطلق.

﴿يُحَمِّدُ عَلَى كَمَالِهِ، وَيُحَمِّدُ عَلَى جَمَالِهِ، وَيُحَمِّدُ عَلَى إِعْزَامِهِ وَإِفْضَالِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاللَّهُ **عَزَّجَلَّ** يَحِبُّ الْحَمْدَ وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ وَافْتَتَحَ كِتَابَهُ بِالْحَمْدِ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٢﴾ [الفاتحة: ٢]، وفرض على المسلمين أن يقرؤوها في كل ركعة، فعن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال النبي **ﷺ** قال الله **عَزَّجَلَّ**: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿٢﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **حَمَدَنِي عَبْدِي**»،**

أخرجه مسلم، والحمد: هو ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله،
وآلته اللسان والقلب ومتعلقة الصفات اللازمة والمتعدية.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء لكمال علمه وقدرته، كما قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا

قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].



سُورَةُ الْقَلَمِ

﴿٦٧﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سُورَةُ الْقَلَمِ: ٢٨].

﴿٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ وقد لحقها ما لحقها، من التلف والخراب، ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾ لقد أخطأنا الطريق إلى جنتنا بسبب ظلمة الليل.

﴿٦٧﴾ ثم استدرکوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون من رزق الله بسبب مكرنا وبغينا، وهكذا من منع حق الله يوشك أن يمنعه الله **عَزَّجَلَّ** حقه.

﴿٦٨﴾ ﴿قَالَ﴾ عند ذلك ﴿أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم، وأعقلهم، ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ من قبل ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ تستغفرون الله من عزمكم السيء.

﴿٦٩﴾ ﴿قَالُوا﴾ عند ذلك ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أي: بمقولتنا السابقة وعزمنا السيء بمنع الفقراء والمساكين، ولكن متى قالوا هذا؟ حين لا ينفع الندم، بعد حصول العذاب، وعسى أن تقبل منهم هذه التوبة إلى الآخرة إن أحسنوا، وأما في شأن الدنيا فقد وقع العذاب.



سُورَةُ الْحَاقَّةِ

﴿٦٤﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَيِّحُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الحاقة: ٥٤].

﴿٥٤﴾ ﴿فَسَيِّحُ﴾ نزه ﴿بِأَسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ الكبير الواسع يُنزهه عما لا يليق، وما جاء عن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَيِّحُ أَسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قَالَ: «اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ»، فقد أخرجه أبو داود فهو حديث لا يثبت.



سُورَةُ الْإِنْسَانِ

﴿٦٥﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦٥﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الإنسان: ٢٥-٢٦].

﴿٦٥﴾ ﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ اذكر الله وسبحه وحمده وهله فإن ذلك من أسباب نصرك وعزك ورفعتك فلا أكرم على المؤمن من ذكر الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، ﴿فَأَذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ ﴿١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي حديث أبي هريرة يقول: «فَإِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ»، متفق عليه.

﴿بُكْرَةً﴾ في الصباح وهذا إشارة إلى أذكار الصباح، وقد قال تعالى: ﴿فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ ﴿٧﴾ [الروم: ١٧]، ﴿وَأَصِيلًا﴾ الأصيل من بعد الزوال ويدخل فيه المساء، فالإنسان يتقرب إلى الله بذكره وشكره وحسن عبادته، وهذا إشارة إلى تعيين إحياء الأوقات بطاعة الله **عَزَّوَجَلَّ**، أما من يقول: ساعة لربي وساعة لقلبي فهذا لا يستقيم ولا يجوز أن تشرك قلبك مع الله إنما في حديث حنضلة: «سَاعَةٌ وَسَاعَةٌ»، ساعة تكون في نشاط وساعة تكون في فتور، ولا يحملك هذا الفتور على معصية الله.

﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ يا محمد، ﴿فَأَسْجُدْ لَهُ﴾ صل لربك وذكر السجود؛ لأنه أشرف أركان الصلاة، فالإنسان يضع وجهه الذي هو أكرم شيء إليه في الأرض

طاعةً لله وتقرباً إلى الله، ﴿وَسَبِّحْهُ﴾ بعد المكتوبة، ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ لا سيما في الشتاء فليله طويل يستطيع الإنسان أن يصلي فيه وينام ويذكر الله لكن الواقع أن كثيراً من الناس يصنع نصف الليل الأول مع الواتس أب، والفيس بوك، والتويتر، والتلجرام، والتلفزيون، والدش، وفي ثلث الليل الأخير كالجلد البالي؛ والله المستعان.



سُورَةُ الْأَعْلَى

﴿٦٦﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [سورة الأعلى: ١].

﴿١﴾ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل: سبح ربك المسمى بالأسماء، وقيل المعنى: سبح الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه وصفاته، إذ أن التنزيه والتسبيح قد يكون بالقلب، لكنه هنا أمر بالتسبيح باللسان ويتواطأ القلب واللسان، ﴿الْأَعْلَى﴾ بذاته وصفاته.

﴿٢﴾ وهذا المعنى العظيم ينبغي أن يعتقده كل مسلم، ومن خالف هذا الاعتقاد كان من الموافقين لعقيدة فرعون وهامان ومن سار على سيرهما.

فالله عَزَّوَجَلَّ الأعلى عليّ بذاته وعليّ بصفاته، كما قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ﴿طه: ٥﴾، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، ولهذا كان المسلمون حين يضعون جباههم - التي هي أشرف موطن في الإنسان - في الأرض، ويكونون في حال السفلى ينزهون الله عَزَّوَجَلَّ بقولهم: «سبحان ربي الأعلى»، وكانوا إذا سافروا فإذا صعدوا كبروا، وإذا نزلوا سبحوا؛ تنزيها لله عَزَّوَجَلَّ عن ذلك.



سُورَةُ النَّصْرِ

﴿٦٧﴾ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾ [سورة النصر: ١-٣].

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة وفتح اليمن كما جاء عند النسائي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينما النبي ﷺ في المدينة إذ قال: «الله أكبر الله أكبر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، وجاء أهل اليمن»، قيل يا رسول الله: وما أهل اليمن، قال: «قومٌ رقيقةٌ قلوبهم لينةٌ طباعهم، الإيمان يمانٍ والفقه يمانٍ والحكمة يمانية». متفق عليه.

فتح الله عَزَّ وَجَلَّ على المسلمين حين دخل اليمنيون في دين الله أفواجًا بغير قتال، وإنما كانت دعوة النبي ﷺ - بإرسال الرسل والبعوث، فأرسل أبا عبيدة ابن الجراح إلى نجران، وأرسل معاذ بن جبل إلى الجند، وأرسل أبا موسى الأشعري إلى زيد وما إليها، ثم أرسل علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وولاه جهة نجران وما إليها، وقد جاء إلى النبي ﷺ - في حجة الوداع بشيء من النعم والهدى، وأرسل إلى النبي ﷺ - بترية مذهبته.

والفتح فتحان:

الأول: هو صلح الحديبية، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]؛ لأن قريشًا اعترفوا بالنبي ﷺ - وصالحوه، وإن كانت شروطهم

مجحفة، إلا أنها في الأصل دليل على ضعفهم وهزيمتهم، ورضوخهم للأمر الواقع، وهو وجود القوة المسلمة والاعتراف بهم، وكان هذا الفتح في السنة السادسة من الهجرة.

الفتح الثاني: فتح مكة، وكان في السنة الثامنة من الهجرة.

﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ أي: يكثر دخولهم، فكان في أول الإسلام يسلم الواحد، وربما جاء الاثنان وفي وضع سري، ثم بعد ذلك بدأوا يظهر، ثم بعد ذلك كانت تدخل القبائل في دين الله **عَزَّوَجَلَّ**، وهذا نصر عظيم للإسلام، وقد قال أبو البقاء الرندي:

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَاتَ نَقْصَانٌ فَلَا يُعْرِ بِطَيْبِ الْعَيْشِ إِنْسَانٌ
هِيَ الْأُمُورُ كَمَا شَاهَدَتْهَا دَوْلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانٌ
وَهَذِهِ الدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانٌ

﴿فَسَبِّحْ﴾ أي: أكثر من التسبيح، وهو تنزيه الله **عَزَّوَجَلَّ** عن كل نقیصة وعیب،
﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: بذكر المحامد التي يتصف الله **عَزَّوَجَلَّ** بها، والله موصوف بكل كمال، فعند أن تقول: "سبحان الله": أنت تنزه الله عن كل نقیصة وتثبت له كل كمال، وعند أن تقول: "الحمد لله": أنت تثبت لله **عَزَّوَجَلَّ** كل كمال وتنفي عنه كل نقیصة، وقوله ﴿رَبِّكَ﴾ أي: الذي يرزقك ويحفظك ويكلؤك،
﴿وَأَسْتَغْفِرُكَ﴾ من ذنوبك وسيئاتك.

وإذا كان النبي - ﷺ - قد أمر بالاستغفار مع أن الله **عَزَّوَجَلَّ** قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فمن باب أولى غيره من الذين تكاثرت ذنوبهم وخطاياهم.

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نعد للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في المجلس الواحد مائة مرة: «رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم»، أخرجه أحمد وغيره.

وعن الأغر بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تَوْبُوا إِلَى رَبِّكُمْ؛ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»، أخرجه مسلم.

وعن عبد الله بن بسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا»، أخرجه ابن ماجه.

ويكون الاستغفار من ثلاثة أشياء:

الأول: من التقصير في المأمور، فإن كثيراً من الناس يأتي بالمأمور لا على الوجه المطلوب، وقد أمر الله وشرع الاستغفار بعد الصلاة، وبعد الحج، وفي المجلس، إلى غير ذلك مما هو ثابت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فعن ثوبان، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَعْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، أخرجه مسلم.

الثاني: الاستغفار من ارتكاب المحذور الذي نهى الله عنه ويكون ذلك بالتوبة والإنابة، لحديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي فَإِنِّي سَأَغْفِرُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ، وَلَوْ لَقِيتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا لَلْقَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً، وَلَوْ عَمِلْتَ مِنَ الْخَطَايَا حَتَّى تَبْلُغَ عَنَانَ السَّمَاءِ مَا، لَمْ تُشْرِكْ بِي شَيْئًا ثُمَّ اسْتَعْفَرْتَنِي، لَغَفَرْتُ لَكَ، ثُمَّ لَا أَبَالِي»، أخرجه الترمذي.

الثالث: الاستغفار من عدم الصبر على المقدور.

وقد بعث الله أنبياءه بالاستغفار، قال نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّي إِنَّهُ كَانَ عَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَبَدَّدَكُمْ بَأْمُولِ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلُ

لَكُمْ أَنْهَرًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠-١٢]، وقال تعالى عن هود: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ أي: يقبل توبة التائبين ويجازيهم بمغفرة سيئاتهم، بل وبتبديلها حسنات، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ﴿٧٦﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٦﴾ [الفرقان: ٧٠-٧١].

فمن أسماء الله التواب، الذي يتوب على عباده، ويقبل التوبة منهم، كما قال تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ﴿٨٢﴾ [طه: ٨٢]، والتوبة واجبة من جميع الذنوب بشروطها المعروفة، وقد استوعبت ما يتعلق بذلك في كتاب (شروط التوبة إلى الله).



الفهرس

٥	المقدمة
٦	معنى التسبيح
٧	اسم الله عزَّجَلَّ السَّبَّوح
٨	موطن التسبيح
١٧	أنواع التسبيح في القرآن
٢٣	اقتران التسبيح بالحمد
٢٤	فضل التسبيح
٣٥	التسبيح هو ذكر أهل الجنة
٣٧	فصل بيان بطلان صلاة التسايح
٣٩	فصل سرد آيات التسبيح على ترتيب المصحف
٣٩	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤	سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ
٤٧	سُورَةُ النَّسَاءِ
٥٠	سُورَةُ الْمَائِدَةِ
٥٢	سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ٥٣ سُورَةُ الْأَعْرَافِ
- ٥٧ سُورَةُ التَّوْبَةِ
- ٥٩ سُورَةُ يُوسُفَ
- ٦٢ سُورَةُ يُوسُفَ
- ٦٤ سُورَةُ الرَّعْدِ
- ٦٦ سُورَةُ الْحَجْرِ
- ٦٧ سُورَةُ النَّحْلِ
- ٦٩ سُورَةُ الْأَسْرَاءِ
- ٧٧ سُورَةُ مَرْيَمَ
- ٧٨ سُورَةُ طه
- ٨١ سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
- ٨٣ سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
- ٨٥ سُورَةُ النُّورِ
- ٨٧ سُورَةُ الْفُرْقَانِ
- ٨٩ سُورَةُ النَّمْلِ
- ٩٠ سُورَةُ الْقَصَصِ
- ٩١ سُورَةُ الرُّومِ

- ٩٢ سُورَةُ السَّجْدَةِ
- ٩٣ سُورَةُ الْأَحْزَابِ
- ٩٤ سُورَةُ سَبَأٍ
- ٩٥ سُورَةُ يَسٍ
- ٩٦ سُورَةُ الصَّافَّاتِ
- ٩٩ سُورَةُ ص
- ١٠٠ سُورَةُ الزُّمَرِ
- ١٠١ سُورَةُ غَافِرٍ
- ١٠٤ سُورَةُ فَصَّلَتْ
- ١٠٥ سُورَةُ الشُّورَى
- ١٠٦ سُورَةُ الزُّخْرُفِ
- ١٠٨ سُورَةُ الْفَتْحِ
- ١٠٩ سُورَةُ ق
- ١١١ سُورَةُ الطُّورِ
- ١١٣ سُورَةُ الْوَاقِعَةِ
- ١١٤ سُورَةُ الْحَدِيدِ
- ١١٥ سُورَةُ الْحَشْرِ

١١٧..... سُورَةُ الصَّفِّ

١١٩..... سُورَةُ الْجُمُعَةِ

١٢٠..... سُورَةُ التَّغَابِنِ

١٢٢..... سُورَةُ الْقَلَمِ

١٢٣..... سُورَةُ الْحَاقَّةِ

١٢٤..... سُورَةُ الْإِنْسَانِ

١٢٦..... سُورَةُ الْأَعْلَى

١٢٧..... سُورَةُ النَّصْرِ

١٣١..... الفهرس